رسالة "النّبا عن الوبا" لزين الدّين بن الورديّ ت ٧٤٩هـ ـ دراسة نقديّة

A critical look into Ibn Al-Wardi`s "The News of the plague" Ra`ed Mustafa Abdel-Rahim

رائد عبد الرحيم

Raed Abdul Raheem

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين

بريد الكتروني: rarrabeh@yahoo.com

تاريخ التسليم: (٢٠٠٩/٨/١٨)، تاريخ القبول: (٢٠١٠/٣/٢٢)

ملخّص

زين الدين ابن الورديّ من الأدباء العظام في العصر المملوكيّ الأول، فقد قال الشعر، وكتب في فنون النثر المختلفة، ومنها فنّ المقامة، والخطابة، والرسائل. يتناول هذا البحث رسالة من رسائله المهمة، وهي "رسالة النبا عن الوبا"، من الناحيتين الموضوعية والفنية. وقد كتبها الأديب إبّان انتشار مرض الطاعون في بقاعٍ كثيرة من العالم، ومنها مدينة الأديب حلب سنة (٧٤٩هـ)، وهو المرض الذي أودى بحياته. وقد أشاد مؤرخو العصر المملوكي ونقاده بهذه الرسالة، وتكمن أهميتها في الآتي: ١) أنّها وثيقة تاريخية واجتماعية، كتبها أديب عايش الحدث، واكتوى بناره، فرسم صورة واقعية لمدينة حلب ولسكّانها إبّان انتشار الطاعون فيها، فالرسالة تقدّم صورة للمدينة الإسلامية المنكوبة في ذلك العصر. ٢) قيمتها الفنيّة، فهي تمثّل ذوق العصر، والخصائص الفنية لأدب العصر المملوكيّ الأوّل بعامّة، ولأدب ابن الوردي بخاصة.

Abstract

Zein Al-Din Ibn Al-Wardi is ranked among the great literary figures of the early Mamluki period. Ibn Al-Wardi is a versifier and prose writer who perfected the various prose genres like speeches, letters, and magamat. This paper offers a critical analysis of the from and content of his most famous letter "The News of the plague," which was composed during the plague that afflicted the city of Allepo in 749 Higreyah. The Black Death brought to an end Ibn Alwardi`s life in the same year. The critics and historians of the early Mamluki period have highly praised

this letter for various kinds of reasons. It is considered a landmark achievement because it was drafted by someone who himself experienced the agony and realistically depicted the city during the epidemic, thus making his letter a social and historical document. The letter is also aesthetically valuable due to the fact that it embodies the artistic values of the age and the special features of Ibn Al-Wardi`s art.

تمهيد

تعرّض المجتمع الإسلاميّ في مصر والشام والعراق والحجاز وغيرها من المناطق في العصر المملوكي إلى نكبات متوالية أثّرت سلباً في الأرض والإنسان المسلم يومذاك(١)، ومنها الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات والأوبئة، فكانت تترك وراءها عدداً كبيراً من القتلى والمشرّدين والفقراء المعدمين، وتثير الرعب والفزع في نفوس الناس، ففي سنة ٦٥٤هـ حدث بركان في المدينة النبوية أطال المؤرخون في وصفه، والحديث عن نتائجه المخيفة(٢)، وفي سنة ٦٦٩هـ " جاء سيل عظيم إلى دمشق، فأتلف شيئاً كثيراً، وغرق بسببه ناس كثير"(٣)، " ويقال: إنّه هلكَ به تقدير عشرة آلاف "(٤).

وكثرتْ الأوبئة التي أصابت بلاد المسلمين، وأنزلت بهم صنوفاً شتى من البلاء، وبخاصة مرض الطاعون الذي انتشر غير مرّة في مصر والشام في العصر المملوكيّ، وقتل ألوفاً من سكّانها(٥)، وكانت الحروب التي دارت بين المسلمين والمغول من عوامل انتشار هذا المرض(٦)، فقد ترك المغول مئات آلاف القتلى في بغداد سنة ٦٥٦هـ،" ووقع الوباء فيمن تخلّف بعد الوقعة،

---

(١) لقد ألّف المؤرخ تقي الدين المقريزي كتابه "إغاثة الأمّة بكشف الغمّة"، تحدّث فيه عن كثير من المصائب التي أصابت الناس عبر التاريخ، ومنها العصر المملوكي، ووقف على الأسباب التي وقفت وراء هذه المصائب وبخاصة الغلاء، وما نتج عنه من مجاعات. ونقلت لنا بعض كتب الرحلات وصفاً لتلك المجاعات وغيرها من المصائب التي شاهدها أولئك الرّحالة بأعينهم منها رحلة عبد اللطيف البغدادي إلى مصر، التي عرفت باسم "الإفادة والاعتبار".

(٢) انظر: أبو شامة المقدسي، الذيل على الروضتين، وابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ص٢٠٨، والبداية والنهاية، ١٣/١٦٠-١٦٥ .

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/٢٢٠، وانظر بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص١٢٩.

(٤) زبدة الفكرة ، ص١٢٩.

(٥) إنّ كثرة انتشار هذا المرض دفعت ابن حجر العسقلاني إلى تأليف كتابه "الماعون في مرض الطاعون". تحدّث فيه عن هذا الوباء وأحوال الناس المصابين به.

(٦) انظر رائد عبد الرحيم، صورة المغول في الشعر العربي في العصر المملوكي، ص ١٣ .

من شمّ روائح القتلى، وشرب الماء الممتزج بالجيف وكثرة الذباب"[١]، " ثم سرى الوباء في الهواء فعمّ الطاعون" الشام، وديار مصر، وغيرهما من البلدان"[٢].

وانتشر الطاعون في مصر والشام وغيرهما من بلدان العالم سنة٧٤٩هـ، وقد قدّم المؤرخون في صفحات كثيرة صورة مرعبة لهذا المرض، وعمومه سائر أرجاء الأرض ابتداء من سنة ٧٤٢هـ[٣]، يقول المقريزي وابن تغري بردي[٤]: "ولم يكن هذا الوباء، كما عُهد، في إقليم دون إقليم، بل عمّ أقاليم الأرض شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، جميع أجناس بني آدم وغيرهم، حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البرّ "[٥]. وذكروا أنّه بدأ بالصين، ثمّ شمل أماكن كثيرة، مثل العراق ومصر والشام والهند والأندلس وغيرها الكثير، واستمرّ يدور خمسة عشر عاماً[٦]، وحصد في دورته أرواحاً كثيرة، وأهلك الحرث والنسل، وخرّب المدن والقرى حتى إنّ بعضها لم يبق فيها سوى العدد القليل من البشر، فعجز الناس عن دفن موتاهم، ويكفي هنا نقل ما ذكره المؤرخون عن القاهرة يومذاك ليظهر حجم المأساة التي عاشها الناس: "وكان ابتداؤه بالقاهرة ومصر في النساء والأطفال ثمّ الباعة، حتى كثر عدد الأموات"، "وحدث في الناس في شوّال نفثُ دمٍ، فكان الإنسان يحسُّ في نفسه بحرارة، ويجد غثياناً فيبصقُ دماً ويموتُ عقيبه، ويتبعه أهلُ داره واحداً بعد واحد حتى يفنوا جميعاً بعد ليلة أو ليلتين، فلم يبق أحدٌ إلاّ وغلب على ظنّه أنّه يموت بهذا الدّاء"، "فما انتصف شوّال إلاّ والطرقات والأسواق قد امتلأت بالأموات"، "فما أهلّ ذو القعدة إلاّ والقاهرة خالية مقفرة لا يوجد بشوارعها مارّ، بحيث أنّه يمرّ الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر[٧] فلا يرى من يُزاحمه، لاشتغال الناس بالموتى، وعَلَت الأتربة على الطرقات، وتنكرت وجوه الناس، وامتلأت الأماكن بالصياح، فلا تجد بيتاً إلاّ وفيه صيحة، ولا تمرّ بشارع إلاّ وترى فيه عدّة أموات". "ويُقال: بلغت أعداد الأموات في يوم واحد عشرين ألفاً، وحُصرت الجنائز بالقاهرة فقط في مدّة شعبان فكانت تسعمائة ألف"[٨]. وقد أطلق

---

(١) الكتبي، عيون التواريخ، ١٣٥/٢٠، ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٣٢٩-٣٣٥، الهمذاني، جامع التواريخ، م٢ج١/٢٩١-٢٩٣ .

(٢) مفرج الكروب، ص٢٢٠، وانظر ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٤٨٦- ٤٨٨، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٣٤٩/١-٣٥٦ .

(٣) انظر البداية والنهاية، ١٩٠/١٣-١٩٣، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢ق٣/٧٧٢-٧٩٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٥٥/١٠- ١٦٨، السخاوي، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، ٣٤/١-٣٦، ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل في ذيل الدول، ج١ق١/١٧٧-١٨١، ابن دقماق، النُفحة المسكيّة في الدولة التركية، ص١٦٤-١٦٦، ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدّهور، ج١ق١/٥٢٧-٥٣٣ .

(٤) لقد أورد المؤرخان المعلومات ذاتها عن المرض وانتشاره .

(٥) السلوك، ج٢ق٣/٧٧٣، النجوم الزاهرة، ١٥٦/١٠، وانظر البداية والنهاية، ١٩٠/١٣-١٩١، وجيز الكلام، ٣٤/١، نيل الأمل، ج١ق١/١٧٧، النفحة المسكيّة، ص١٦٤، بدائع الزهور، ج١ق١/٥٣٠ .

(٦) انظر السلوك، ج٢ق٣/٧٨٧، النجوم الزاهرة، ١٦٦/١٠ .

(٧) من أبواب القاهرة .

(٨) النجوم الزاهرة، ١٦٢/١٠, ١٦١, ١٦٣، السلوك، ج٢ق٣/٧٨١, ٧٨٠، ٧٨٢، وانظر النفحة المسكيّة، ص١٦٤.

المؤرخون على هذا الوباء، وعلى السنة التى جاء فيها أسماء مختلفة تدل على شدّته وقسوته منها "الوباء العامّ "[١]، و"الفصل الكبير"، و"سنة الفناء"[٢].

وقد واكب الأدب العربي شعراً ونثراً هذا الحدث العظيم. أمّا الشعر، فذكر المؤرخون أنّه كثير، وهذه بعض أقوالهم:

يقول ابن تغري بردي: "وقد أكثر الناس ذكر هذا الوباء في أشعارهم"[٣].

وقال المقريزي: "وقد أكثر الناس من ذكره في أشعارهم"[٤].

وقال السخاوي: "وأكثر الشعراء وغيرهم في ذكره"[٥].

وكان لهذا الحدث صداه في فنون النثر وتحديداً في فنيّ الرحلات والرسائل. فقد وصف ابن بطوطة في رحلته بعض مشاهداته لمجريات هذه المصيبة التي نزلت ببلاد المسلمين في مصر والشام في تلك السنة، وممّا جاء فيها: "وفي أوائل شهر ربيع الأوّل عام تسعة وأربعين، بلغني الخبر في حلب أنّ الوباء وقع بغزّة، وأنّه انتهى عدد الموتى فيها زائد على الألف في يوم واحد، فسافرت إلى حمص فوجدت الوباء قد وقع بها، ومات يوم دخولي إليها نحو ثلاثمائة إنسان، ثمّ سافرت إلى دمشق ووصلتها يوم الخميس، وكان أهلها قد صاموا ثلاثة أيام، وخرجوا يوم الجمعة إلى جامع الأقدام ...، فخفّف الله عنهم الوباء، فانتهى عدد الموتى عندهم إلى ألفين وأربعمائة في اليوم"، "ثمّ سرنا إلى غزّة، فوجدنا معظمها خالياً من كثرة مَنْ مات بها من الوباء، وأخبَرَنا قاضيها أنّ العدول بها كانوا ثمانين، فبقي منهم الرّبع، وأنّ عدد الموتى بها انتهى إلى ألف ومائة في اليوم"[٦]. ويقول واصفاً الإسكندرية والقاهرة: "ثمّ سافرتُ .... إلى الإسكندرية، فوجدتُ الوباء قد خفّ بها بعد أن بلغ عدد الموتى إلى ألف وثمانين في اليوم، ثمّ سافرت إلى القاهرة وبلغني أنّ عدد الموتى أيّام الوباء انتهى فيها إلى واحد وعشرين ألفاً في اليوم، ووجدتُ جميع مَنْ كان بها من المشايخ الذين أعرفهم قد ماتوا"[٧].

أمّا فنّ الرسائل، فكتب فيه الأديب زين الدين عمر ابن الورديّ[٨] رسالة "النبأ عن الوباء"[٩]، وكان الأديب معاصراً أحداث المرض في مدينة حلب، وكان ممّن ماتوا به في تلك السنة، ولكنّه قبل وفاته كتب هذه الرسالة، فصوّر فيها النتائج الخطيرة التي خلّفها هذا المرض، وبيّن مناطق انتشاره، وركّز على مدينته حلب، وأحوال الناس المختلفة فيها، وطرق وقايتهم من الطاعون.

---

(١) نيل الأمل، ١/١٧٧،
(٢) النجوم الزاهرة، ١٠/١٦٦ .
(٣) المصدر نفسه، ١٠/١٦٦ .
(٤) السلوك، ج٢ق٣/٧٨٧ .
(٥) وجيز الكلام، ١/٣٥ . وانظر نيل الأمل ج١ق١/١٧٧، بدائع الزهور، ج١ق١/٥٣١ .
(٦) رحلة ابن بطوطة، ص٥٨٦ .
(٧) رحلة ابن بطوطة، ص٥٨٧ .
(٨) ديوانه مطبوع بتحقيق د. أحمد فوزي الهيب، وهو قسمان : نثر، وشعر .
(٩) وردت هذه الرسالة في ديوانه ص٨٦-٩٤، و أجزاء منها في كتابه تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ ابن الوردي، حوادث سنة ٧٤٩هـ، ٢/ ٤٩٧-٥٠٠ . .

وقد صنّف المؤرخون ما كتبه ابن الوردي في أدب المقامة، فقال المقريزي: "فقال الأديب زين الدين عمر بن الوردي من مقامة عملها"[١]، وقال السخاوي: "وعمل فيه ابن الورديّ مقامة مقامة بليغة"[٢]، وذكر ابن شاهين الظاهري في ترجمة ابن الورديّ: "وعمل مقامة في هذا الوباء، ومات عقيبها، وهي مشهورة لطيفة رقيقة"[٣]. ولكنّ ابن الورديّ لم يذكر أنّها مقامة، وإنّما صنّفها ضمن أدب الرسائل إذ قال: "وعملتُ فيه رسالة سميتها النّبأ عن الوباء"[٤]، ووردت ووردت في ديوانه باسم "رسالة النبا عن الوبا". ولو أراد ابن الوردي أن يجعلها مقامة لجعلها تحت هذا التصنيف، وهو الذي ميّز في ديوانه بين مقاماته ورسائله[٥].

وعلى الرغم من أنّ أسلوب رسالته يقرب من أسلوب فنّ المقامة إلاّ أنّي سأدرسها ضمن أدب الرسائل، لأنّ الأديب كاتبها أراد لها أن تكون كذلك.

ولرسالة ابن الوردي في طاعون حلب قيمتان:

أوّلاً: قيمة تاريخية، فهي وثيقة تاريخية واجتماعية مهمة، صدرت عن رجل عاش الحدث واكتوى بناره، فجاءت مضامين رسالته صورة دقيقة عمّا جرى للمسلمين بل للعالم بأسره يومذاك، فهي تتفق في مضامينها مع ما ذكره مؤرخو تلك الحقبة عن أحداث المرض بصورة عامة. والأديب هو أحد المؤرخين الكبار الذين أرّخوا تلك الحقبة من تاريخ الأمّة الإسلامية، وتجلّى ذلك في كتابه "تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ ابن الورديّ"، ولم تنفكّ عقلية المؤرخ تلحّ عليه في أدبه شعراً ونثراً، ويتجسّد هذا الأمر في رسالته النبا عن الوبا، التي حرص فيها على إبراز قدرته الأدبية أولاً، وثانياً على جعلها وثيقة تاريخية تؤرّخ هذا المرض وظروفه. وتلك العقلية هي التي جعلته يحدّد موقع هذا المرض من الطواعين التي حدثت في التاريخ الإسلاميّ، فقال: "وهو سادس طاعون وقع في الإسلام"[٦].

---

(١) السلوك، ج٢ق٧٨٧/٣ .

(٢) وجيز الكلام، ٣٥/١ .

(٣) نيل الأمل، ١٧٨/١ .

(٤) تتمة المختصر في أخبار البشر، ٤٩٧/٢ .

(٥) لابن الورديّ خمس مقامات وردت في ديوانه، وقد أشار الأديب إلى أنّها مقامات، وهي : المقامة الصوفية، والمقامة المنبجية، والمقامة المشهدية ,والمقامة الأنطاكية، والمقامة الدمشقية المعروفة بالصفو الرحيق في وصف الحريق .

(٦) الديوان، ص٩٠-٩١. وهذا ما تناقله المؤرخون فذكروا أنّ الطواعين المشهورة في الإسلام، قبل هذا الطاعون، خمسة هي: "طاعون شيرويه، وكان بالمدائن ببلاد فارس في حياة الرسول، صلى الله عليه وسلّم، وطاعون عمواس، وكان في زمن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وكان بالشام سنة سبع عشرة من الهجرة"، "ثم وقع طاعون بالكوفة سنة تسع وأربعين من الهجرة"، "ووقع الطاعون بالبصرة سنة سبع وستين من الهجرة، والمسمّى بالجارف"، "ثم وقع الطاعون بالبصرة سنة سبع وثمانين من الهجرة، وكان يُسمّى طاعون الفتيات، لكثرة من مات فيه من البنات العذارى الفتيات". بدائع الزهور، ج١ق٥٢٨/١، ٥٢٩، ٥٣٠.

ونظرة مقارنة بين رسالة ابن الورديّ وكتب المؤرخين الآخرين تدلّ على التشابه الكبير بين ما ورد في رسالته وبين ما جاء في كتبهم، ومن الأمثلة على ذلك قول ابن تغري بردي: "ولم يدخل الوباء معرّة النعمان، ولا بلد شيزر ولا حارم "(١). وهذا الخبر هو ذاته ورد في رسالة ابن الوردي إذ قال: "ثمّ دخل معرة النعمان، فقال لها: أنت منّي في أمان"(٢)، ثمّ قال لشيزر ولحارم لا تخافا منّي، فأنتما من قبل ومن بعد في غنى عنّي"(٣).

وذكر المؤرخون أنّ الوباء حين تفشّى في دمشق بلغ عدد الموتى "في اليوم ألفاً ومائتي إنسان"(٤). وتحدث ابن الوردي عن رقم قريب من هذا الرقم، فقال: "ثمّ سدّد الرِّشق إلى دمشق، فتربّع وتميّدَ، وفتكَ كلَّ يومٍ بألفٍ أو أزيد"(٥). وغيرها الكثير من الأمثلة.

وتتميّز رسالة ابن الورديّ في أنّها قدّمت صورة مفصّلة عن انتشار الوباء في حلب، وعن حال أهل هذه المدينة المنكوبة، وهي صورة أهملها المؤرخون، واكتفوا بإشارات عابرة، فقالوا: "وفي أوّل جمادى الأولى ابتدأ الوباء بأرض حلب"(٦)، "وبلغ عدة من يموت في كلِّ يوم بمدينة حلب خمسمائة إنسان"(٧).

ثانياً: قيمة فنيّة، فهي تجسّد خصائص أدب ابن الورديّ، وخصائص الأدب في العصر المملوكيّ، وبخاصة فنّ الرسائل، وقد أثنى المؤرخون والمترجمون على هذه الرسالة فعدّوها لطيفة بليغة(٨).

وسأتناول في هذه الدراسة رسالة "النبا عن الوبا" من جانبين: موضوعي وفنيّ.

الدّراسة الموضوعيّة

تشتمل هذه الرسالة على غير محور، وهذه المحاور هي:

تفسير انتشار مرض الطاعون

ما من نازلة أو مصيبة تصيب المسلمين وبلادهم إلاّ وحاول الأدباء تفسيرها في أدبهم، فتارة ينسبونها إلى الدهر وتقلباته، وتارة إلى القضاء والقدر، وأخرى إلى انحراف الناس عن جادة الصواب والطريق المستقيم، ومن هؤلاء الأدباء ابن الوردي الذي جعل هذا الوباء من أشراط يوم القيامة في قوله :"وعندي أنّه الموت الذي أنذر به نبينا عليه أفضل الصلاة

(١) النجوم الزاهرة، ١٥٧/١٠.
(٢) الديوان، ص٨٩.
(٣) المصدر نفسه، ص٨٩-٩٠ .
(٤) السلوك ,ج٢ق٧٧٩/٣، النجوم الزاهرة، ١٦١/١٠.
(٥) الديوان، ص٨٨ .
(٦) السلوك، ج٢ق٧٧٤/٣، النجوم الزاهرة، ١٥٧/١٠.
(٧) المصدر نفسه، ج٢ق٧٥٤/٣، المصدر نفسه، ٧٧٥/١٠.
(٨) انظر وجيز الكلام، ٣٥/١، نيل الأمل، ج١ق١٧٨/١/١.

والسلام"[١]. ويرى د. أحمد فوزي الهيب محقق ديوان ابن الوردي أن الأخير ربما قصد بقوله السابق قوله صلّى الله عليه وسلّم: "من أشراط الساعة موتي، وفتح بيت المقدس، وموت يأخذ في الناس كقعاص الغنم ..."[٢].

وجعله ابن الوردي عقاباً من الله تعالى على كثرة الخطايا، وحياة الانحراف التي كان يحياها المسلمون يومذاك، فقال: "فنستغفر الله تعالى من هوى النّفوسِ فهذا بعضُ عقابه، ونعوذُ برضاه من سخطه، وبمعافاته من عذابِه:

قالوا: فسادُ الهواءِ يُردي　　فقلتُ : يُردي هوى الفسادِ

كم سيّئات وكم خطايـــا　　نادى عليكم بها المنـــادي[٣]

أماكن انتشار الطّاعون

قدّم ابن الوردي في القسم الأوّل من رسالته صوره عن المناطق التي انتشر فيها مرض الطاعون، فتحدث عن البلدان التي ابتدأ فيها انتشاره[٤]، وعن خطّ سيره حتى وصل إلى مدينة حلب، وبيّن أنّه سرى خمس عشرة سنة في البلاد حتى وصل إلى مدينته تلك إذ قال: "يا له من زائر من خمسة عشر دائر"[٥]. فبدأ بالصين: "ماصين عند الصين .."[٦]. والمناطق التي شملها، شملها، عقب الصين، مرتبة حسب ورودها في الرسالة هي: الهند، والسند، وبلاد أُزبك، وبلاد ما وراء النهر[٧] "أفغانستان" حالياً، وبلاد العجم، وأرض الخطا، وشبه جزيرة القرم[٨]، وبلاد الروم، وقبرص، والجزائر، والقاهرة، والإسكندرية، والصعيد، وبَرقة، وغزة، وعسقلان، وعكا، والقدس، وصيدا، وبيروت، ودمشق، والمزّة، وبعلبك، وقارَة[٩]، والغَسولَة[١٠]، وشَمْسين،

(١) الديوان، ص٩١، تتمة المختصر، ٥٠٠/٢
(٢) انظر الديوان، ص٩١ حاشية ١، والحديث في مسند الأمام أحمد، ٢٢٨/٥.
(٣) الديوان، ص٩٢، السلوك ,ج٢ق٧٨٨/٣، النجوم الزاهرة ,١٦٧/١٠.
(٤) يتّفق كلامه كثيراً مع أقوال المؤرخين الذين سبقت الإشارة إلى كتبهم.
(٥) الديوان، ٨٦، تتمة المختصر، ٤٩٧/٢.
(٦) المصدر نفسه، ص٨٦، المصدر نفسه، ٤٩٧/٢.
(٧) والمقصود نهرا سيحون وجيحون.
(٨) ولعل المقصود قَرميسين "وهو تعريب كرمان شاهان"، بلد قرب همذان في إيران . الحموي، معجم البلدان، مادة "قرميسين".
(٩) "اسم قرية كبيرة على قارعة الطريق ، وهي المنزل الأول من حمص للقاصدين إلى دمشق". معجم البلدان، مادة "قارة".
(١٠) "من قرى دمشق"، "والغسولة: منزل للقوافل، فيه خان على يوم من حمص". معجم البلدان، مادة "الغسولة".

والجُبّة(١)، والزَّبَداني(٢)، وحمص، وحماة، وسَرْمين(٣)، والفَوْعَة(٤)، وأنطاكية، والباب(٥)، وتل وتل باشِر(٦)، وذَلول، "وقصد الوهاد والتلاع، وقلع خلقاً من القلاع"(٧). يتضح من أسماء البلدان البلدان والدول أنّ هذا الوباء كان عامّا ,شمل إضافة إلى الهند قارات العالم المعروفة حالياً، وهي آسيا، وإفريقيا. ويبيّن ابن الوردي وصول المرض إلى حلب، ولكنّ تأثيره لم يكن كبيراً كغيرها من البلدان، على حدّ تعبيره، حين قال: "ثمّ طلب حلب، ولكنّه ما غلب، فهو، ولله الحمد، أخفّ وطأة"(٨).

صورة المرض وأثاره فيما شمل من بلدان

لقد عبّر ابن الورديّ عن شدّة مرض الطاعون وعن قسوته، وبيّن آثاره الخطيرة في البلدان التي شملها بعامة، وفي حلب وسكّانها بخاصة، وعرض ذلك بصورة واقعية، ومعتمداً على عنصر التصوير.

إنّ الصورة العامة لمرض الطاعون كما رسمها الأديب هي أنّه وباء عام وشامل، روّع الناس، وجلب لهم الموت والخوف والرعب، يقول: "طاعونٌ روّع وأمات، وابتدأ خبره من الظلمات"، "ولا مُنع منه حصنُ حصين، وسلّ هنديا في الهند"، "وكم قصم من ظهر فيما وراء النهر"، ثمّ تحدّث عن الموت الذي جلبه لبلاد مصر، فقال: "ثمّ قهر خلقاً بالقاهرة .....، وسكّن حركة الإسكندرية"(٩). ووقف ابن الوردي على عدد القتلى الذين كان يفتك بهم المرض كلّ يوم في دمشق حتى كاد يقضي على سكّانها، فقال: "ثمّ سدّد الرّشقَ إلى دمشق، فتربّع وتميّد، وفتك كلَّ يومٍ بألف أو أزيد، فأقلّ الكثرة، وقتل خلْقاً ببترة"(١٠). ويمضي هكذا متصنعاً في وصف بطش هذا المرض بأهل المناطق التي اكتسحها، حتى وصل إلى حلب، ففصّل في الحديث عن أحوال أهلها، ذلك أنّ الأديب كان شاهد عيان على مجريات المرض.

---

(١) "ناحية من دمشق وبعلبك ، تشتمل على عدة قرى"، "وقيل: إنها من أعمال طرابلس الشام". معجم البلدان، مادة "جبة".
(٢) "كورة .... بين دمشق وبعلبك، منها خرج نهر دمشق". معجم البلدان، "زبداني".
(٣) بلدة "من أعمال حلب". معجم البلدان، مادة "سرمين".
(٤) "قرية كبيرة من نواحي حلب". معجم البلدان، مادة "فوعة".
(٥) "ويعرف بباب بزاغة: بليدة في طرف وادي بُطنان من أعمال حلب". معجم البلدان، مادة "الباب".
(٦) "قلعة حصينة وكورة في شمالي حلب". معجم البلدان، مادة "تل".
(٧) انظر الديوان ص٨٦-٩٠، تتمة المختصر، ٤٩٨/٢-٤٩٩.
(٨) المصدر نفسه، ص٩٠، المصدر نفسه، ٢/ ٤٩٩.
(٩) انظر الديوان، صفحات، ٨٦، ٨٧، تتمة المختصر، ٤٩٨/٢.
(١٠) المصدر نفسه، ص٨٨، المصدر نفسه، ٤٩٨/٢.

لقد بيّن ابن الوردي أنّ الطاعون ما إن وصل إلى حلب حتى فقد كثيراً من تأثيره، فكان "أخفّ وطأة"، وعلى الرغم من ذلك فقد خلّف أثاراً كارثية هناك، فوصفه الأديب كرباً أصاب المسلمين، إذ قال شعراً:[١].

إنّ الـوبا قـد غَلَبـا　　　وقـد بـدا فـي حلبـا

قالوا : له على الورى　　　كافٌ ورا، قلتُ : وبا

ويبيّن في أبيات أخرى قوّة تأثير الطاعون، وأنّه لن ينجو بشر منه إلاّ برحمة الله تعالى، قال[٢]:

ألا إنّ هـذا الـوبا قـد سبـا　　　وقـد كـادَ يرسلُ طوفانهُ

" فلا عاصمَ اليومَ من أمره"　　　سوى رحمة اللهِ سبحانه

ورسم الأديب صورة للطاعون وهو يتعقّب أهل حلب، وسكان الدار الواحدة ليفتك بهم، ويقتلهم عن آخرهم، كما يبدو في قوله: "كم دخل من مكان، فحلف لا يخرج إلاّ بالسكّان، ففتّش عليهم بسراج، وهذا الذي جلب لأهل حلب الانزعاج"[٣]. ويتحدّث عن أعراض المرض، فيبيّن أنّ مَنْ يصاب به يظلّ يبصق دماً، ويبقى عل حاله تلك حتى يموت بعد يومين أو ثلاثة، فيكون ذلك بمثابة إنذار لأهل البيت جميعهم، كما يتجلّى في قوله: "ومن الأقدار أنّه يتتبّعُ أهل الدار، فمتى بصقَ واحدٌ منهم دماً، تحقّقَ كلّهم عدماً"[٤]. وهذه الأعراض هي ذاتها التي انتشرت في البلدان التي شملها المرض، يقول ابن تغري بردي متحدثاً عن أعراضه في دمشق:"ثمّ صار الآدميّ يبصق دماً ويموت"[٥].

ثمّ يصوّر الأديب الطرق والوسائل التي كان يسلكها أهل حلب لعلاج المرض والوقاية منه، كي ينجوا بحياتهم من شرّ هذا الوباء ، فقد عكفوا على قراءة كتب الطبّ، وألزموا أنفسهم بأنواع محدّدة من الأطعمة والأشربة، وابتعدوا عن أخرى، ويكشف هنا عن بعض الأفكار التي كانت متغلغلة في عقولهم، وبخاصة عندما ذكر أنّهم لبسوا خواتم الياقوت بأصابعهم اعتقاداً منهم بأنّه يُبعد الطاعون عنهم، وحين أشار إلى عادة تبخير البيوت بأنواع البخور المختلفة، وهو ينقل لنا ذلك كلّه بصورة واقعية منطقية، ويتجلّى ذلك في قوله: "فلو رأيتَ الأعيانَ بحلب وهم يُطالعونَ من كتب الطبِّ الغوامض، ويكثرون في علاجه من أكل النواشف والحوامض، ... وقد لاطفَ منهم مزاجه وعدّل، وبخروا بيوتهم بالعنبر والكافور والسّعد والصندل، وتختّموا بالياقوت،

---

(١) الديوان، ص٩٠، السلوك، ج٢ق٧٨٧/٣، النجوم الزاهرة، ١٦٨/١٠.
(٢) الديوان، ص٩٤، السلوك، ج٢ق٧٨٨/٣.
(٣) الديوان، ص٩٠.
(٤) الديوان، ص٩٠، تتمة المختصر، ٤٩٩/٢.
(٥) النجوم الزاهرة، ١٥٧/١٠ .

وجعلوا البصل والخَلّ والصحنا(١) من جملة الأدم والقوت، وأقلّوا من الأمراقِ والفاكهة، وقرّبوا إليهم الأترنج(٢) وما شابهه"(٣).

وقتل المرض عدداً كبيراً من سكّان حلب، فعمّ الحزن والعويل أرجاء البلد، ورُزق بهذا البلاء أرباب الجنائز، الذين يتولون دفن الموتى، فيصح المثل القائل "مصائب قوم عند قوم فوائد"(٤)، وقد عبّر ابن الوردي عن ذلك إذ قال: "ولو شاهدتَ كثرة النعوشِ وحَمَلة الموتى، وسمعتَ بكلِّ قطرٍ من حلب نعياً وصوتاً ..."، "فلقد كثرتْ فيها أرزاق الجنائزية"(٥).

وأخيراً رسم الأديب صورة لنفوس الناس في حلب في تلك الفترة العصيبة، التي شعروا فيها بدنوّ أجلهم، واقترابهم من لقاء وجه الله الكريم، فأخذوا يتوبون عن معاصيهم، ويعودون إلى الله تعالى، ويعملون الصالحات، وقد جعل الأديب هذه الأمور من النتائج الإيجابية لهذا المرض كما يبدو في قوله:"ومن فوائده تقصير الآمال، وتحسين الأعمال، واليقظة من الغفلة، والتزوّد للرحلة"(٦). وعبّر ابن الوردي عن حال أهل حلب تلك شعراً، فقال(٧):

فهذا يوصي بأولادهِ   وهذا يــودّعُ جيرانـهُ
وهذا يُهيِّيء أشغالهُ   وهـذا يُجهـزُ أكفانــهُ
وهذا يُصالحُ أعداءهُ   وهذا يُلاطِفُ إخوانَـهُ
وهذا يُوسّعُ إنفاقَــهُ   وهذا يُخاللُ مَنْ خانَـهُ
وهذا يُحبِّسُ(٨) أموالّهُ   وهـذا يُحـرِّرُ غلمانهُ
وهذا يُغيّرُ أخلاقَــهُ   وهـذا يُعيِّرُ ميـزانـهُ

النقد الاجتماعي والسياسيّ

لقد عبّر ابن الوردي في غير موضع من رسالته عن رأيه في الواقع السياسي والاجتماعي في بعض البلدان الإسلامية، ولجأ إلى أسلوبي النقد والتجريح، فالأبيات السابقة تقف على جانب من الحياة الاجتماعيّة في حلب في العصر المملوكيّ الأوّل، وتبيّن جانباً من المفاسد التي كان

---

(١) السمك الصغير المملّح، وهو ما يطلق عليه اليوم الفسيخ، وفي المعجم الوسيط مادة "صحن"، ص٥٠٨ "الصَّحناء إدام يُتَّخذ من السّمك الصّغار المملّح".
(٢) الأترنج أو الأترجّ "شجر يعلو، ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار، وهو ذهبيّ اللّون، ذكيّ الرائحة، حامض الماء". المعجم الوسيط، مادة "الأترج"، ص٤.
(٣) الديوان، ص٩١.
(٤) الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص٦٢.
(٥) الديوان، ص٩١، تتمة المختصر، ٤٩٩/٢.
(٦) الديوان، ص٩٣.
(٧) الديوان ,ص٩٤، السلوك، ج٢ق٧٨٨/٣.
(٨) أي يوقفها على أعمال الخير.

عليها المسلمون وقتذاك، فهي تشير إلى سلوك وأخلاق كان عليها الناس، وهي الخيانة، وتطفيف الموازين، والبخل، والخلف بين الإخوة، وحين يشير الكاتب إلى تحرير الغلمان في قوله : وهذا يحرّر غلمانه، يشير إلى الممارسات الظالمة التي كان يمارسها أسيادهم عليهم، ولعلّه يشير إلى جانب خطير تفشى في المجتمع الإسلاميّ، وهو ممارسة الشذوذ مع هؤلاء الغلمان(١)، وإلا فلا معنى لأنّ يحرّر الناس غلمانهم من غير أن يشعروا بعقدة ذنب تجاههم.

وتحدّث ابن الوردي عن أماكن كانت في مأمن من مرض الطاعون، وهنا وجد الأديب المجال متاحاً للنقد، فعلّل ذلك بالظلم الاجتماعي والسياسي الذي كان شائعاً فيها، وقد عبّر عن ذلك بأسلوب الحوار الذي دار بين الطاعون وتلك المدن، وهذا ما يتجلّى في حديثه عن معرّة النعمان: "ثمّ دخلَ معرّة النعمان، فقال لها: أنتِ منّي في أمان، حماةُ تكفي في تعذيبكِ، فلا حاجة لي بك:

رأى المعــرّةَ عينــاً زانَها حــورٌ   لكنّ حاجبــها بالجـورِ مقرونُ
ماذا الذي يصنع الطاعونُ في بلدٍ   في كلِّ يومٍ لهُ بالظُّلمِ طاعونُ(٢)

وشمل النقد حصني شيزر وحارم، فقال : ثمّ قال لشيزر ولحارم لا تخافا منّي، فأنتما من قبلُ ومن بعدُ في غنى عنّي"(٣).

وانتقد ابن الوردي بشدة أرباب الجنائز ّإذ صوّر تقاعسهم عن دفن الموتى بعد أن امتلأت بطونهم من مصائب الناس، يقول: "فلقد كثرتْ أرزاق الجنائزية، فلا رُزقوا وعاشوا بهذا الموسم، وعرقوا من الحمل، فلا عاشوا ولا عرقوا، فهم يلهونَ ويلعبون، ويتقاعدونَ عن الزَّبون"(٤). وهذه الصور ذاتها رسمها المؤرخون لأرباب الجنائز في مصر والقاهرة، يقول ابن كثير: "وزاد ضمان الموتى جداً، فتضرّر الناس ....، فإنّه يؤخذ على الميت شيء كثير جدا"(٥)، امّا ابن تغري بردي والمقريزي، فقالا عنهم: "فنالوا بذلك جُمَلاً مستكثرة، صار المقرئ يأخذ عشرة دراهم، وإذا وصل الميت إلى المصلى تركه وانصرف لآخر، وصار يأخذ الحمّال ستة دراهم، وصار الحفّار يأخذ أجرة حفر كلّ قبر خمسين درهماً"(٦).

وهذا أمر، وللأسف الشديد، اعتاد عليه كثير من الناس وبخاصة أرباب المهن، والتّجار عقب النّكبات التي كانت تحلّ بالمسلمين آنذاك، ومن مظاهره الاستغلال، وارتفاع الأسعار(٧).

---

(١) لقد أكثرت كتب التاريخ والأدب والتراجم من الحديث عن هذه الممارسات الشاذة. انظر السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص٣٥، ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، ص ٣١٨، ابن أبي حجلة التلمساني، ديوان الصبابة، ص٢٨٥ وما بعدها، رائد عبد الرحيم، فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي، ص٢٧٠وما بعدها .
(٢) الديوان، ص٨٩، تتمة المختصر، ٤٨٩/٢-٤٩٩.
(٣) المصدر نفسه، ص٩٠، المصدر نفسه، ٤٩٩/٢.
(٤) المصدر نفسه، ص٩١، المصدر نفسه، ٤٩٩/٢.
(٥) البداية والنهاية، ١٩١/١٣.
(٦) السلوك، ج٢ق٧٨٣/٣، النجوم الزاهرة، ١٦٤/١٠.
(٧) لمزيد من التفصيل انظر صورة المغول في الشعر العربيّ في العصر المملوكيّ، ١٣-١٤.

شماتة الأعداء

نقل ابن الوردي مشاعر أعداء المسلمين آنذاك، فصوّر شماتة طائفة الأرمن(١)، الذين كانوا يسكنون مدينة سيس(٢)، ووقف على مشاعر الفرح والسرور التي غمرت نفوسهم، وهم يرون المسلمين يصارعون هذا البلاء، وعبّر الأديب عن موقفه من ذلك، ومن أولئك القوم ، فقال: "وممّا أغضب الإسلام، وأوجبَ الآلامَ، أنّ أهل سيس الملاعين مسرورونَ لبلانا بالطواعين، حتى كأنّهم منه في أمان، أو عليه ألا يقربهم ضمان، .... (٣):

سكّانُ سيسَ يسرُّهم ما ساءنا وكذا العوائدُ من عدوِّ الدينِ

اللهُ ينقــلُهُ إليهـــم عاجـــلاً ليُمزِّقَ الطاعونَ بالطاعونِ

فالأديب يصوّر موقف الأرمن مؤذياً لنفوس المسلمين وللإسلام، ولكنّه يجعل تلك الشماتة أمراً طبيعياً ومتوقعاً من الأعداء، فيدعو عليهم أن ينتقل إليهم المرض، حتى يلاقوا المصير الذي واجهه المسلمون. ويبدو أنّ الله قد استجاب لدعائه فوقع المرض "ببلاد سيس فمات لصاحبها تَكْفور(٤) في يوم واحد بموضع مائة وثمانون نفساً وخلت سيسُ"(٥).

موقف ابن الوردي من الحدث

إنّ أغلب العناوين السابقة تعبّر عن موقف ابن الوردي من الحدث، فالكاتب قد وقف على أسبابه، وانتقد الواقع الاجتماعيّ والسياسيّ، وتحدّث عن شماتة الأعداء. وتحت هذا العنوان سينصبّ الحديث عن ذات ابن الورديّ ونفسيّته إبان حدوث المرض، وانتشاره في مدينته.

تعكس هذه الرسالة حالة ابن الورديّ النفسيّة ومخاوفه إبّان انتشار المرض، فقد كان يخشى أن يصيبه، وهذه الهواجس برزت في افتتاح الرسالة حين قال: "الله لي عدّة من كلِّ شدّة، حسبي الله وحده"(٦). ولكنّ الأديب يحاول أن يبدو متماسكاً، ومؤمناً بقضاء الله وقدره، وبخاصة حين يناقش قضية العدوى من المرض التي كان أهل حلب يؤمنون بها، فيعرب عن رفضه لهذه الفكرة مستدلاً بآيات قرآنية، وأحاديث نبوية شريفة(٧)، وكذلك حين بيّن أنّ الذي منعه من مغادرة حلب

---

(١) من الجدير بالذكر في هذا المقام أنّ هؤلاء القوم أكثروا من إيذاء المسلمين، وبخاصة حين شاركوا المغول غزو بلاد المسلمين في العراق والشام سنوات ٦٥٦و٦٥٨و٦٩٩هـ . فخرّبوا ودمّروا وقتلوا ونهبوا . لمزيد من المعلومات انظر رائد عبد الرحيم، صورة المغول في الشعر العربي في العصر المملوكيّ، ص ١٠٥-١١٢.

(٢) وهي سيسية "وعامة أهلها يقولون سيس"، "من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس"، معجم البلدان، مادة "سيسية".

(٣) الديوان، ص٩٢، تتمة المختصر، ٤٩٩/٢-٥٠٠، النجوم الزاهرة، ١٦٨/١٠.

(٤) تَكْفور أو تاكفور، وتعني الملك بلغتهم. انظر دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٥٥/٢.

(٥) السلوك، ج٢ق٧٧٤/٣، النجوم الزاهرة، ١٥٦/١٠ .

(٦) الديوان، ص٨٦ .

(٧) انظر الديوان، ص٩٣، تتمة المختصر، ٥٠٠/٢ .

تمسّكه بحديث[١] المصطفى، صلّى الله عليه وسلّم، ولعلّه يقصد، كما يرى محقّق الديوان[٢] قوله عليه السلام: "إذا وقع الطاعونُ بأرضٍ فلا تدخلوها، وإذا وقع وأنتم فيها، فلا تخرجوا منها"[٣]. ومنعه كذلك الأجر الذي يناله المسلمُ إذا ما صبر على البلاء، كما يبدو في قوله: "هذا وهو للمسلمين شهادة وأجر....، إذا صبر المسلم على مصيبة فالصبر عبادة، وقد ثبتَ عن نبينا، صلى الله عليه وسلّم، أنّ المطعون شهيد"[٤]. باختصار كان ابن الوردي يتنازعه أمران: الخوف الإنساني الطبيعيّ في تلك الظروف، والإيمان بالله وقضائه وقدره. ويبدو أنّ الأخير غلب على نفسه، فأصابه قضاء الله، فهلك بالمرض.

الدراسة الفنيّة

بنية الرسالة

حثّ النقاد الأديب على أن يجوّد في افتتاح رسائله، وأن يكون افتتاحها مرتبطاً بموضوع الرسالة، وأن يحرص على أن يأتي بأسلوب مشوّق يزيد من جمالها ورونقها في أسماع المتلقين وأذهانهم، وذلك لأنّها أوّل ما يقرع أذانهم، فتكون علامة على قبولهم النصّ أو النّفور منه . يقول ابن شيث القرشيّ: إنّ "أوّل ما افتُتِح به القول، وما ابتدئ به الكلام، وما شُرِعَ فيه ابتداء، ما جُعِلَ مفتاحاً للمقال، وما حُرِّكتْ به الخواطر، وما استُحثّتْ له الأفكار"[٥]. وقال ابن الأثير في حديثه عن المبادي والافتتاحات: "وحقيقة هذا النوع أن يجعل مطلع الكلام من الشعر والرسائل دالاً على المقصود من ذلك الكلام، إن كان فتحاً ففتحاً، وغن كان هناء فهناءً، أو كان عزاء فعزاء، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني"[٦]. وأطلقوا على ذلك حسن الابتداء، أو براعة الاستهلال، وسمّوه بذلك "لأنّ المتكلّم يُفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به"[٧].

وما اشترطوه في المقدمة ينطبق على الخاتمة أو حسن الختام، فلا بدّ للأديب أن يُحسن فيه "غاية الإحسان، فإنّه آخر ما يبقى في الأسماع، وربّما حُفظ من دون سائر الكلام في غالب الأحوال"[٨] "القرب العهد بها، فلا جرم وقع الاجتهاد في رشاقتها وحلاوتها، في قوّتها وجزالتها، وجزالتها، وينبغي تضمينها معنى تاماً يؤذن السامع بأنّه الغاية والمقصد والنهاية، ولهذا قال عليه السلام: ملاك العمل خواتمه، وفي حديث آخر إنّما الأعمال بخواتيمها ...، فالخاتمة في كلّ شيء هي العمدة في محاسنه"[٩].

---

(١) انظر الديوان، ص٩٤ .
(٢) انظر ص٩٤ حاشية ٣ .
(٣) مسند الإمام أحمد، ١٧٨/١ .
(٤) الديوان، ص٩٢.
(٥) ابن شيث القرشي، معالم الكتابة ومغانم الإصابة، ص١٢٠. وانظر ابن الأثير، المثل السائر، ٢٢٣/٢.
(٦) المثل السائر، ٢٢٣/٢.
(٧) ابن حجة الحمويّ، خزانة الأدب، ٣٠/١. وانظر، الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، ص٦٣.
(٨) خزانة الأدب، ٤٩٣/٢.
(٩) العلويّ، كتاب الطراز، ١٨٣/٣.

إن هذا الاهتمام بالافتتاح والخاتمة مرده رغبة النقاد في:

١. تحقيق الوحدة الموضوعيّة.

٢. زيادة جمال النصّ، وبالتالي قبوله عند المتلقين.

وهذا ما عبّر عنه القاضي الجرجاني إذ قال حاثّاً على تجويد الاستهلال والخاتمة: "فإنّها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء"(١). وقال أبو هلال العسكريّ: العسكريّ: "وإذا كان الابتداء حسناً بديعاً، ومليحاً رشيقاً، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام"(٢).

لقد تحققت شروط النّقاد في رسالة النبا عن الوبا، فقد اعتنى ابن الوردي بمقدمة رسالته وخاتمتها. فموضوع الرسالة هو الحديث عن الطاعون الذي أصاب كثيراً من بلدان العالم بعامة، ومدينة الأديب حلب بخاصة، فبدأها بمعاني التوكل على الله والإيمان بقضائه وقدره، ثم الصلاة على الرسول محمّد، صلى الله عليه وسلّم، وهو فيها يشير إلى كارثة ومصيبة الطاعون، ويوحي بخشيته من الوقوع فيها، وزاد من جمالها أمران:

الأوّل: أنّ الأديب وشّحها ببعض آيات القرآن الكريم.

الثاني: تلك المشاعر الحزينة التي تشع من لغتها. وهذا ما يتجلّى في قوله: "اللهُ لي عدّة من كلِّ شدّة، حسبي الله وحده، **أليس اللهُ بكاف عبده**، اللهمّ صلّ على سيّدنا محمد وسلّم، ونجّنا بجاهه من طَعناتِ الطاعون وسلّم"(٣).

ويلاحظ أن ابن الوردي بدأ نصّه بضمير المتكلّم، وهذا يدل على مشاعر الخوف الذي كانت قد تسربت إلى نفسية الأديب، ثمّ انتقل إلى ضمير الجماعة ليدعو له ولهم.

وبعد أن تحدّث عن المرض وأحوال الناس البائسة يومذاك ختم رسالته بالدعاء إلى الله أن يخلّص المسلمين ممّا هم فيه من كرب، وأن يرفع عنهم هذا البلاء، وتشفّع بالنبيّ محمد، صلّى الله عليه وسلّم، وهي خاتمة طبيعية، فلا يجد الإنسان المؤمن ملجأ عقب تلك المصيبة إلا التوجّه إلى الله، سبحانه وتعالى، وقد جاءت خاتمته مؤثره بفضل تلك المشاعر الحزينة التي أسبغها ابن الوردي عليها، وبفضل معانيها المستوحاة من الفكر الإسلاميّ بعامة والقرآن الكريم بخاصّة، إذ قال: "اللهمّ إنّا ندعوكَ بأفضل ما دعاكَ به الدّاعونَ، أن ترفع عنّا الوبا والطاعون، لا نلتجئ برفعهما إلاّ إليكَ، ولا نعوِّل في العافية منها إلاّ عليك، نعوذ بك ياربّ الفلق من الضرب بهذا العصا، ونسألكَ رحمتك، فهي أوسعُ من ذنوبنا ولو كانت عدد الرمل والحصا، ونتشفّعُ إليكَ

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص٤٨.
(٢) الصناعتين، ص٤٩٦.
(٣) الديوان، ص٨٦، تتمة المختصر، ٤٩٧/٢.

بـأكرم الشـفعاءِ لـديك، محمـد نبـيّ الرحمـة، أن تكشـف عنّـا هـذه الغمّـة، وأن تجيرنـا مـن الوبـالِ والتنكيل، وأن تعصمَنا فأنتَ حسبُنا ونعم الوكيل"(١).

فالأديب بدأ رسالته بالدعاء إلى الله والتوجّه إليه، وختمها بذلك، وجعل كلاً من البدء والختام مرتبطين بموضوع الرسالة. وقد عدّ النقاد العرب القدامى مثل ما فعله ابن الورديّ دليلاً على تمكّن الكاتب وحسن كتابته، وهذا ما يتجلى في قول ابن شيث القرشيّ متحدّثاً عن البدء والختام في فنّ الرسائل: "البدء والختم: وهو أن يجعل الدّعاء في الكتاب دالاً على المقصود به، وكذلك عند الختم أيضاً يكون مرتبطاً به، فإنّه من محاسن الكتابة"(٢).

وحققت الرسالة الوحدة الموضوعيّة، فتفسير المرض، والحديث عن أماكن انتشاره، وعن حال أبناء المجتمع، وعن موقف الأديب من الحدث، وبيان شماتة الأعداء، كلّها موضوعات تدخل في دائرة الحديث عن مرض الطاعون والظروف المحيطة به.

لغة الرّسالة

تتميّز لغة الأدب في العصر المملوكيّ بالسهولة، وهو مبدأ دعا إليه الأدباء والنّقاد على السّواء، فقد رأوا "أن تكون اللفظة مألوفة في الاستعمال، فلا تكون وحشية"، وأن تكون "خفيفة على الألسن، لذيذة على الأسماع، حلوة في الذوق"(٣)، وامتدحوا "الأديب الذي يستعمل الألفاظ السهلة في أدبه، وعابوا عليه استعماله الغريب منها"(٤)، وقد عدّ ابن شيث القرشيّ السهولة من محاسن الكتابة، وبيّن أنّ أكثر المطبوعين يميلون إليه "لبعده من الكلفة"(٥)، ولأنّ السهل أمنع جانباً، وأعزّ مطلباً، وأعذب مستمعاً، ولذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع"(٦)، أي "ما ارتفع عن الساقط السوقيّ، وانحطّ عن البدويّ الوحشيّ"(٧). ومن الذين دعوا إلى ذلك ابن الورديّ إذ قال(٨):

إذا أحببتَ نظمَ الشّعرِ فاخترْ   لِنظْمِكَ كلَّ سهلٍ ذي امتناعِ
ولا تقصدْ مجانسةً ومكّـــنْ   قوافيَهُ وكِلْـهُ إلى الطِّبـــاعِ

لقد حقّق الأديب الجزء الأولّ من دعواه، فجاءت ألفاظه، وأكثر تراكيبه سهلة على المتلقين. وأخفق في دعواه التي وردت في البيت الثاني، إذ أغرق في استخدام الجناس وبخاصة في القسم الأوّل من رسالته، فأخلّ بفصاحة تراكيبه، وأدى إلى التعقيد والتنافر والتكلّف، وبالتالي صعوبة

(١) الديوان، ص ٩٤.
(٢) معالم الكتابة ومغانم الإصابة، ١٠٧ .
(٣) د.محمد عبد المطلب، اتجاهات النقد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، ص٨٦، وانظر ص١٢٥ .
(٤) فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكيّ، ص٣٢١ .
(٥) معالم الكتابة ومغانم الإصابة، ص١٠٣-١٠٤، انظر تفصيل رأيه ص٣٣ .
(٦) الصناعتين، ٧٥ .
(٧) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص ٢٤ .وانظر الصناعتين، ص٦٦ .
(٨) الديوان، ص٣٦٥ ، الصفدي، أعيان العصر، ٢١٤/٢ .

فهمها على المتلقين. وأدى كذلك إلى اختفاء المشاعر الحزينة التي يتوقّع المرء أن يجدها متدفقة في ثنايا نصّ يعبّر عن موضوع اجتماعيّ حزين. وقد أشار النقاد إلى الدور السلبي الذي يؤديه التنافر في النص الأدبيّ، فعدّوه "من أكبر عيوب الكلام"(١).

ومن الجدير ذكره في هذا المقام أنّ كثيراً من أدباء ذلك العصر لم يكونوا قادرين على التوفيق بين النظرية والتطبيق، ومردّ ذلك ذوق العصر الذي سعوا إلى نيل رضاه. وقد كان للجناس في العصر المملوكيّ روّاده المدافعون عنه، الداعون إليه، وفي مقدمتهم صلاح الدين الصفدي معاصر ابن الوردي وصديقه الأثير، الذي جعل استخدام الجناس بمثابة جنة للنصّ الأدبيّ، فألّف كتابه "جنان الجناس"، مما حدا بكثير من الأدباء والنقاد إلى مهاجمته(٢). ومن أمثلة هذه اللغة المتصنعة الثقيلة التي وردت في رسالة ابن الورديّ قوله متحدثاً عن أماكن انتشار المرض: "ثمّ مزَّ المزَّة، وبرَزَ إلى بَرْزة....، وغسل الغَسولَة، وبلغَ من كسوفِ شمسٍ شَمسين سولَه....، وأزبَدَ على الزَّبَداني نعشَه"(٣)، "ثمّ سرى إلى سَرمينَ والفَوْعة"، "ثمّ أنطى أنطاكَ بعضَ نصيبٍ"(٤)، "وأخذ من أهل الباب أهلَ الألباب، وباشرَ تلّ باشر، وذلّلَ ذَلول"(٥). فالأسلوب الذي ينتهجه الأديب في الأمثلة السابقة لا طائل من ورائه، وقد قال النقّاد العرب القدامى، ومنهم أبو هلال العسكريّ "لا خير في المعاني إذا استُكرهتْ قهراً، والألفاظ إذا اجتُرّتْ قسراً"(٦).

ولكنّ هذا التعقيد لم يستمرّ إلى نهاية الرسالة، وإنّما ورد في حديثه عن أماكن انتشار المرض . أمّا أقسام الرسالة الأخرى، فاتسمت بالفصاحة والبعد عن التعقيد، ونلاحظ في لغتها مذهبين آخرين: مذهباً وسطيّاً، برز فيه الجناس وبقية فنون البديع بصورة قليلة قياساً مع الاتجاه الأول المغرق في استخدامها، كما يبدو في قوله: "ومن الأقدار أنّه يتتبع أهل الدار، فمتى بَصَقَ واحد منهم دماً، تحقّق كلّهم عدماً"(٧). ومذهباً مرسلاً، كان فيه الأديب على سجيّته، فكاد يخلو من من أنواع البديع، وهذا ما يتجلّى في قوله واصفاً الطرق التي اتّبعها أهل حلب للعلاج والوقاية من المرض: "وجعلوا البَصلَ والخَلّ والصّحنا من جملة الأدَم(٨) والقوت، وأقلّوا من الأمراقِ والفاكهة، وقرّبوا إليهم الأترنج وما شابهه"(٩).

---

(١) الصناعتين، ص١٦٠ .
(٢) انظر ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ٥٥/١-٥٦، كشف اللثام، ص٦، فن الرثاء، ص٣٧٨.
(٣) الديوان، ص٨٨، تتمة المختصر، ٤٩٦/٢.
(٤) الديوان ، ص٨٩.
(٥) الديوان ، ص٩٠.
(٦) الصناعتين، ص٧٥.
(٧) الديوان، ص٩٠.
(٨) الطّعام.
(٩) الديوان، ص٩١.

ولعلّ الكاتب يقصد حين كتب بهذه الأساليب الثلاث، أن يرضي الأذواق جميعها في عصره على اختلاف مشاربها، ونظرتها إلى لغة الأدب، فقد كتب لمن يحبّ التصنّع والتكلّف، ولمن يدعو إلى التقليل من استخدام البديع، ولأولئك الذي ينهون عنه تماماً.

وحث النّقاد الأديب على الملاءمة بين ألفاظه ومعانيه، "وتظهر هذه الملاءمة إذا تمكّن الأديب من ناصية اللغة، وكان ذا قدرة في استعمال المفردات بحيث يسوق المعنى إلى الذّهن في شكل مترابط، فلا يعبّر عن المديح بألفاظ الهجاء، ولا يعبّر عن الذمّ بألفاظ المديح ....، ولا يتخيّر لموضع الجدّ ألفاظ الهزل، ولا ألفاظ الهزل في مواضع الجدّ"[١]، "ومن أراد معنى كريماً، فليلتمسْ له لفظاً كريماً، فإنّ حقّ المعنى الشريف اللفظ الشريف"[٢]. لقد لاءم ابن الوردي في رسالته بين ألفاظه ومعانيه، فيبدو من النصّ أنّ الكاتب قصد منه وصف المجتمع الحلبيّ إبّان انتشار مرض الطاعون فيه، ولهذا جاءت لغة رسالته في معظمها جزلة، وهذه الجزالة تلائم موضوع الوصف. وبرزت فيها كثير من ألفاظ اجتماعية، مثل "البصل، والخلّ، والصّحنا، والأمراق، والأترنج، والجنائزية، والزبون، وبخروا، والطين، والكافور، والصندل، والعنبر، وغيرها"[٣].

وهناك هدف آخر سعى إليه الأديب من كتابة رسالته، وإن بدا باهتاً في نصّه، وهو نقل مشاعره ومشاعر المسلمين الحزينة، ولهذا اتسمت لغة مقدمته وخاتمته بالرقّة والسلاسة المعبرة عن معاني الحزن والألم[٤]. وكثرت في لغته الألفاظ الإسلامية[٥].

ومن خصائص رسالته الإيجاز، وبخاصة حين تحدّث عمّا فعله الطاعون بالمدن التي انتشر فيها، فقد اكتفى بكلمات قليلة تعبّر عن مدلولات كثيرة، وساعده في ذلك استخدام الفنون البديعية، بخاصة الطباق، كما في قوله: "وسكّن حركة الإسكندرية، .... وأخذ من دار الطّراز طرازَ الدارِ، وصنع بصنّاعها ما جرتْ به الأقدارُ"[٦]. فهو يريد أن يصف ما فعله الطاعون بأهل الإسكندرية، وبمراكز الجمال والصنعة فيها، فبيّن أنّ عدد سكّانها الكبير قد فني وتلاشى، وأنّ دار الطِّراز، وهي التي تتولى صناعة كلّ ما يتعلّق بالدولة من منسوجات وثياب وحليّ فاخرة، وغير ذلك، قد عَدِمتْ رونقها وبهجتها، بعدما مات صنّاعها . وقد أشار المؤرخون إلى ذلك فقال ابن تغري بردي والمقريزيّ: "وغُلّقتْ دار الطِّراز لعدم الصنّاع"[٧].

---

(١) اتجاهات النقد، ص١٢٩.
(٢) ابن رشيق، العمدة، ٢١٣/١.
(٣) انظر الديوان ، ص٩١.
(٤) أشير إلى ذلك تحت عنوان "بنية الرسالة".
(٥) سيأتي الحديث عن ذلك تحت عنوان "الأثر الإسلاميّ".
(٦) الديوان، ص٨٧، تتمة المختصر، ٤٩٨/٢.
(٧) السلوك، ج٢ق٧٧٧/٣، النجوم الزاهرة، ١٥٩/١٠.

وبرز في لغته بعض الأخطاء النحوية، ولكنّ هذه الأخطاء لم تكن في الكلام المنثور، وإنّما في بعض أشعاره التي ضمّنها رسالته، وتجلّى ذلك في لفظتي "دمشق"، و"حلب"(١)، فقد صرفها وهي لا تنصرف، فقال(٢):

أصلـــح اللهُ دمـشقاً وحماها عن مسبّـهْ

نفسُها خسَّتْ إلى أنْ تقتلَ النّاسَ بحبّـهْ(٣)

الأســـاليـــب

حثّ النقاد القدامى الكاتب على التزوّد بعلوم مختلفة، فطلبوا إليه أن يطالع كتب التاريخ والتراث والنصوص الأدبية التي سبقته، وأن يتمكّن من القرآن والحديث، وعلوم النحو والصرف والعروض، وغير ذلك من العلوم(٤)، وأن يستفيد منها في إنتاج نصوصه الأدبية، فتتفاعل هذه النصوص فتكون معيناً له على إيصال الأفكار والمعاني التي ينوي التعبير عنها، وهذا ما يعرف بالنقد الحديث بالتّناص الذي تعرّفه جوليا كريستيفا بأنّه "ترحال للنصوص، وتداخل نصّي، ففي فضاء نصّ معيّن تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مُقتطعة من نصوص أخرى"(٥).

كان الأديب زين الدين ابن الورديّ واسع الثقافة والعلم، إذ برع في اللغة والنحو والأدب والفقه، فنظم كتاب الحاوي في الفقه(٦)، وتميّز في علم التاريخ، وله فيه كتاب تاريخ ابن الورديّ المعروف بتتمة المختصر في أخبار البشر، وعرف الجغرافيا، وتفسير الأحلام والتصوّف، "ويؤيّد ذلك مؤلفاته الكثيرة في شتى أنواع العلوم"(٧). وقد برزت عناصر هذه الثقافة بجلاء في أدبه بعامة، وفي رسالته النبا عن الوبا بخاصة، ومن مظاهرها:

الأثر الإسلاميّ

برز الأثر الإسلاميّ بجلاء في رسالته، ومن مظاهره:

أوّلاً: شيوع الألفاظ الإسلاميّة فيها، وهذه الألفاظ كثيرة وبخاصة في افتتاح الرسالة وخاتمتها مثل: الله، وربّي، والبارئ، والاستغفار، والسخط، والعذاب، والكافرين، وسيّئات،

---

(١) انظر الديوان، ص ٨٩.
(٢) الديوان، ص٨٨.
(٣) ذُكر أنّ دمشق حين أصابها وباء الطّاعون "كان يخرج خلف أذن الإنسان بَثرة" خرّاج صغير، "فيخرّ صريعاً". السلوك، ج٢ق٧٧٥/٣، النجوم الزاهرة، ١٥٧/١٠.
(٤) انظر رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب في كتاب إحسان عباس، عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء، ص٢٨٣، معالم الكتابة، ص٤٠، حسن التوسل، ص٧٣-٨٩ .
(٥) جوليا كريستيفا، علم النصّ، ص٢١ .
(٦) انظر الكتب التالية : النجوم الزاهرة، ١٨٩/١٠، السلوك، ج٢ق٧٩٥/٣، نيل الأمل ,ق١ج١٧٨/١، ابن العماد، شذرات الذهب ,١٦١/٦، ديوان ابن الورديّ، ص٥ -٦ .
(٧) انظر هذه المؤلفات في الديوان، ص٦، ١٠٣ .

وخطايا، وشهيد، والجنة، والنار، والقيامة، والله أكبر، ورحمة الله، والذنوب، والأجر، ونعم الوكيل، وعدو الدين، والله حسبي.

ثانياً: تسرّبت إلى الرسالة كثير من المعاني الإسلامية، ومنها معاني الاتّكال على الله، والثقة به جلّ وعلا، والإيمان بقضائه وقدره، كما يبدو في قوله: "الله لي عدّة من كلّ شدّة، حسبي الله وحده .."[(١)]. وقوله متحدثاً عن الطاعون: "ولو سلّمنا فتكه بأهل الدار فهو بإرادة الفاعل المختار"[(٢)]. وبرز فيها معاني الحمد والثناء، والإيمان برحمة الله حين قال: "ولولا فتح باب الرحمة لقامت القيامة"[(٣)]، وقوله: "فهو، ولله الحمد، أخفّ وطأة"[(٤)]. وبدا فيها معاني الإيمان بعقاب الله للذين لا يسيرون على صراطه المستقيم، ويتجلى ذلك في تفسير الأديب المرض إذ عدّه عقاباً إلهيّاً للبشر لخروجهم عن النهج القويم. ومن المعاني الإسلامية في الرسالة الدعاء الذي برز بجلاء في الخاتمة في قوله: "فهلّمّ بنا نستغيث إلى الله في رفعه فهو خير مغيث، اللهم إنّا ندعوك بأفضل ما دعاك به الداعون، أن ترفع عنّا الوبا والطاعون، ولا نلتجئ في رفعهما إلاّ إليكَ ..."[(٥)].

ثالثاً: استوحى ابن الوردي القرآن الكريم في نصّه، فتأثر بصوره ومعانيه وقصصه، واقتبس بعض آياته، ونثر بعضها الآخر في تضاعيفها. وقد تجلى الاقتباس في صورتين: إيجابية، وفيها أحسن الأديب توظيف الآيات القرآنيةّ في رسالته، فبدتْ متفاعلة معها، لها دور في تعميق معانيه التي عبّر عنها. ومن الأمثلة على ذلك استيحاؤه قصّة أصحاب الكهف ليصوّر عظم الحدث في حلب، وكثرة الموتى فيها إذ قال: "ولو شاهدتَ كثرة النعوش، وحملة الموتى، وسمعتَ بكلِ قُطرٍ من حلب نعياً وصوتاً" لَولّيتَ منهم فِراراً [(٦)][(٧)]. ومن الاقتباس الجميل ما ورد ورد في حديثه عن شماتة أهل سيس بمصاب المسلمين: ".... حتى كأنّهم منه في أمان أو عليه لا يقربهم ضمان، أو كأنّهم إذاً ظفِروا" ربّنا لا تجعلنا فتنةً للذينَ كفروا [(٨)][(٩)]. ومن جيّد الاقتباس عنده ما ورد في أشعاره التي ضمّنها رسالته حين استوحى قصة نوح وابنه في قوله مصوّراً شدة المرض[(١٠)]:

---

(١) الديوان، ص٨٦،
(٢) المصدر نفسه، ص٩٣ .
(٣) المصدر نفسه، ص٨٨،
(٤) المصدر نفسه، ص٩٠.
(٥) الديوان، ٩٤.
(٦) سورة الكهف، آية ١٨.
(٧) الديوان، ص٩١.
(٨) سورة الممتحنة، آية٥.
(٩) الديوان، ص٩٢.
(١٠) المصدر نفسه، ص٩٤.

إنّ هــذا الــوبا قــد ســـبا وقد كانَ يُرسلُ طــوفانهُ
"فلا عاصمَ اليومَ من أمرهِ"(١) سوى رحمةِ اللهِ سبحانه

وأخفق الأديب أحياناً في توظيف الاقتباس في سياقه الصحيح، فتارة جاء مُقحماً على النصّ حشواً لا فائدة منه، هدف منه تحقيق الصنعة، وتجلّى ذلك في قوله مصوّراً وصول الطاعون إلى حلب: "ثمّ طلب حلب ولكن ما غلب، فهو، ولله الحمد، أخفّ وطأه، ولم أقل" كزرعٍ أخرجَ شطأهُ (٢)(٣). فدور الاقتباس هنا اقتصر على تحقيق السجع بين وطأه، وشطأه. وقد يحرف ابن الوردي الوردي اللفظة القرآنية عن معناها الذي جاءت عليه في سياقها، وهذا من الاقتباس الذي لم يجوّزه النقاد، يقول الشهاب محمود الحلبي في سياق حديثه عن الاستشهاد بالقرآن: "وأكثر الناس على جواز الاستشهاد بذلك ما لم يُحوّل عن لفظه، ولم يُغيّر معناه"(٤). فمن ذلك قول الأديب مصوّراً انتشار الطاعون في القاهرة: "ثمّ قهر خلقاً بالقاهرة، وتنبهت عينه لمصر " فإذا هم بالسّاهرة (٥)(٦). فمعنى الساهرة في سياق النصّ السهر والأرق. أما في سياق النصّ القرآني فوردت في سياق الحديث عن بعث الناس بعد الموت، ومعناها وجه الأرض، ومعنى النص القرآني "أي كلّ الخلائق بوجه الأرض أحياء بعدما كانوا ببطنها أمواتاً"(٧).

وبرز تأثره بالحديث النبويّ الشريف في غير موضع من رسالته، فتارة يشير إليه إشارة، وأخرى يضمّنه نصّه، فهو في قوله مبرّراً بقاءه في حلب إبّان المرض: "وما مَنَعَنا الفرار منه إلاّ التّمسّك بالحديث"(٨)، يشير إلى قول الرسول، صلّى الله عليه وسلّم: "إذا وقع الطاعون بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها، وإذا وقع ولستم بها، فلا تقدموا عليه"(٩). ويوظّف ابن الوردي الحديث الشريف في بيان أجر الصابرين على المرض إذ قال: "وإذا صبرَ المسلمُ على مصيبة فالصبر عبادة، وقد ثبت عن نبيّنا، صلّى الله عليه وسلّم، أنّ المطعون شهيد(١٠)(١١).

---

(١) سورة هود، آية ٤٣.
(٢) سورة الفتح، آية٢٩. "والشطء: فرْخ الشجر، وورقه أول ما يبدو. انظر المعجم الوسيط، مادة "شطأ".
(٣) الديوان، ص٩٠.
(٤) حسن التوسّل، ص٧٥ .
(٥) سورة النازعات، آية١٤ .
(٦) الديوان، ص٨٧ .
(٧) السيوطي، تفسير الجلالين، ص٥٨٤ .
(٨) الديوان، ٩٤ .
(٩) مسند الإمام أحمد، ٤١٦/٣ . وفي رواية أخرى للحديث: "إذا وقع الطاعون بأرض، فلا تدخلوها . وإذا وقع وأنتم بها، فلا تخرجوا منها". مسند الإمام أحمد، ١٧٧/١.
(١٠) نص الحديث "المبطون شهيد والمطعون شهيد " . صحيح البخاري، ٢١٦٥/٥، وانظر صحيح ابن حبّان، ٤٦٢/٧ .
(١١) الديوان، ٩٢ .

واستشهد الكاتب بالحديث الشريف والقرآن الكريم حين راح يحاور ويجادل في أمر العدوى محاولاً إثبات عدم حدوثها، فقال: "فإن قال قائل: هو يُعدي ويبيد. قل: بل الله "يُبدي ويعيد"[١]، وإن جادلَ الكاذبُ في دعوى العدوى وتأوّل، قلتُ: قد قال الصادقُ عليه السلام: "فمن أعدى الأوّل"[٢][٣].

ثانياً:استيحاء التّراث

تتجلى عقلية المؤرخ ابن الورديّ بجلاء في هذه الرسالة، في التصوير الواقعيّ للأحداث، وفي التسلسل في عرضها، وفي حرصه على توثيقها، وحين حدّد موقع هذا المرض من طواعين الإسلام إذ قال: "وهو سادس طاعون وقع في الإسلام"[٤].

لقد وظّف الأديب التراث بصور مختلفة في نصّه، وجاءت في أغلبها ممتزجة به، وساهمت في إيضاح المعاني التي أراد التعبير عنها، ومنها استيحاؤه بعض الأمثال حين تحدّث عن حارم، وشيزر، وبرّر عدم إصابتهما بالمرض، فقال: "ثمّ قال لشيزر ولحارم: لا تخافا منّي، فأنتما من قبلُ ومن بعدُ في غنى عنّي **"فالأمكنة الرّديّة تصحُّ في الأزمنة الوبيّة"** [٥]. وضمّن الكاتب رسالته جزءاً من مطلع معلقة امرئ القيس إذ صوّر انتشار المرض في قارة: "... وأنشد في قارة قفا نبكِ"[٦]. واستعان بأسماء كتب التراث في قوله: "ثمّ أنطى أنطاكَ بعض نصيب، ورحل عنها حياء من نسيانه **ذكرى حبيب**"[٧]. وكتاب "ذكرى حبيب" ألّفه الشاعر أبو العلاء المعرّي اختصر اختصر فيه ديوان أبي تمّام[٨]. ويُلاحظ أنّه لا فائدة تُرجى في استحضاره اسم هذا الكتاب سوى الرّغبة في التكلّف والتّصنّع. ولعلّه يقصد حبيب النجار أو حبيب بن سري" الذي ورد ذكره في قوله تعالى: "وجاءَ من أقصى المدينةِ رجلٌ يَسْعَى"[٩]، وكان يقيم في أنطاكية"[١٠]. وهو التفسير التفسير الأقرب لهذا التناص، مما يجعل استحياء المرض من ذكرى هذا الداعية العظيم أمراً مقبولاً، له معنى في النصّ.

ثالثاً: توظيف مصطلحات العلوم

استخدام مصطلحات العلوم أسلوب من الأساليب البارزة في أدب العصر المملوكي شعره ونثره. ويعود ذلك إلى أسباب عديدة منها ثقافة الأدباء المتنوعة التي أحبّوا أن يستعرضوها في

(١) سورة البروج، آية ١٣.
(٢) مسند الإمام أحمد، ٢٦٩/١.
(٣) الديوان، ص٩٣، تتمة المختصر، ٥٠٠/٢.
(٤) انظر الديوان ص٩٠-٩١.
(٥) الديوان، ص٩٠، تتمة المختصر، ٤٩٩/٢.
(٦) الديوان، ص٨٨.
(٧) المصدر نفسه، ٨٩، تتمة المختصر، ٤٩٩/٢.
(٨) انظر ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ١١٤/١.
(٩) سورة يس، آية ٢٠ .
(١٠) ديوان ابن الوردي, ص٨٩، حاشية ١٥. وانظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٤٥/٣.

أعمالهم، ثمّ إلى الحركة العلمية النشطة في ذلك العصر، وإلى ذوق العصر الذي سيطرت عليه روح الصنعة[١]، وجعلت طائفة من نقّاده يجعلون من استخدامها قانوناً يصدرون عنه في الحكم على جودة العمل الأدبيّ[٢]. ورفضت طائفة من نقاد ذلك العصر هذه الظاهرة في الأدب، وعبّروا عن رأيهم في معرض حديثهم عن شيوعها وأسباب هذا الشيوع، وعمّن أولع بها، ومنهم حازم القرطاجنيّ الذي يقول: إنّ "المسائل العلميّة يَستبردُ إيرادها في الشعر أكثر الناس، ولا يستطيب وقوعَها إلاّ مَنْ صار من شدّة ولوعه بعلم يتشوّف إلى ذكر مسائل ذلك العلم، وإنّما يورد المعاني العلميّة مَنْ يريدُ التمويه بأنّه عالمٌ شاعر"[٣]. ويشير السبكيّ إلى هذه الظاهرة، ويبيّن أثرها السلبيّ في الأدب إذ قال: "ومن العلماء طائفة استغرق حبُّ النحو واللغة قلبها، وملأ فكرها، فأدّاها إلى التّقعر في الألفاظ، وملازمة حوشيّ اللغة، بحيث خاطب من لا يفهمه"[٤]، فهؤلاء النّقاد يرون أن كثرة استخدام مصطلحات العلوم لا يحبّذه الذوق، لأنّ الناس يريدون أن يفهموا ما يقرؤون، وأغلب تلك المصطلحات لا يفهمها إلا مختصّ بها، أو ذو ثقافة كبيرة، وليس الناس كلّهم كذلك.

وحذر النقاد قبل هذا العصر من توظيف هذه المصطلحات في لغة الأدب لجمودها، وخلوّها من النبض الإنساني[٥]، ومنهم ابن سنان الخفاجيّ في قوله: "ومن وَضْع الألفاظ في مواضعها أن أن لا يُستعمل في الشعر المنظوم، والكلام المنثور من الرسائل والخطب ألفاظ المتكلّمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم، والألفاظ التي تختصّ بها أهل المهن والعلوم"[٦]. ولابن الأثير رأي في هذا الموضوع، فهو يبيّن أنّ ذلك يعتمد على مدى ملاءمة تلك المصطلحات للمعاني التي يعبّر عنها الأديب" فإذا أخذ مؤلّف الشعر أو الكلام المنثور في صوْغ معنى من المعاني، وأدّاه ذلك إلى استعمال معنى فقهيّ أو نحويّ أو حسابيّ أو غير ذلك، فليس له أن يتركه ويحيد عنه، لأنّه من مقتضيات هذا المعنى الذي قصده"[٧].

لقد أكثر ابن الوردي من استخدام مصطلحات العلوم في رسالته، فجاءت استعراضاً لثقافته المتنوعة، وتلبية لذوق العصر، ولم يكن لها فائدة في نصّه سوى التكلّف والتعقيد والصنعة، وجاء استخدامها غير متلائم والموضوع الجاد الذي يعبّر عنه الأديب، فهو يعرض موضوعاً حزيناً،

---

(١) انظر في ذلك : محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، م٨ج١٣١/٤، ياسين الأيوبيّ، آفاق الشعر في العصر المملوكيّ، ص٤٠٧-٤٠٨، صورة المغول، ص١٨٣، فن الرثاء، ٣٥٢، حسن ملخ، استخدام المصطلح النحويّ في الشعر، المجلة العربية للعلوم الإنسانيّة، جامعة الكويت، العدد ٨٩، السنة، ٢٣، ٢٠٠٥م ,ص٣١-٧٩ .

(٢) انظر الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٦٣/٣، السيوطي، بغية الوعاة، ١٣٢/١-١٣٥، الكتبي، فوات الوفيات، ٤٠٨/٣-٤٠٩ .

(٣) منهاج البلغاء، ص٣٠ .

(٤) معيد النعم ومبيد النقم، ص٣٥

(٥) انظر عبد الفتاح عثمان، نظرية الشعر، ص١٠٧، ١٠٨ .

(٦) سر الفصاحة، ص١٤١، وانظر المثل السائر، ٣٣٤/٢ .

(٧) المثل السائر، ٣٣٦/٢ .

ومصيبة كبرى نزلت بالأمة الإسلامية، فجاءت مشاعره باردة في نصّه، فلم يستطع إقناع المتلقين بعظم المأساة، أو بحزنه العميق إن كان حزيناً.

وظّف ابن الوردي مصطلحات نحوية وصرفية في غير موضع في نصّه، وجاء ذلك في معرض تعبيره عمّا أصاب المدن الإسلامية التي فتك بها الطاعون، وحديثه عن انقلاب الأحوال فيها، ومن هذه المصطلحات "تركيب المزج"، والعلّة، والممنوع من الصرف، كما يبدو في قوله مشيراً إلى المرض: "وركّبَ تركيب مزجٍ بعلَبَكَ"[١]، وقوله: "ورمى حمصَ بخَلَل، وصرفها مع علمه أنّ فيها ثلاثَ عِلل"[٢]. ولا يخفى تكلّف الأديب، ورغبته في استعراض مقدرته النحوية والصرفية، فلا معنى أن يعرف المرض أن في حمص ثلاث علل، وهي العَلَميَة، والعُجمة، والتأنيث. ويتجلى تكلّف الأديب وتصنّعه في دعائه الله أن يكشف عن المسلمين ما أصابهم من غمّة إذ استخدم مصطلحات الرفع والفاعل والصرف، فقال: "اللهمّ إنّه فاعل بأمركَ، فارفعْ عنّا الفاعل، وحاصل من عند مَنْ شئتَ، فاصرف عنّا الحاصل"[٣].

واستعان ابن الوردي بمصطلحات صوفيّة ومذهبيّة، منها مصطلحا السنة والشيعة، وجاء بهما ليحقّق الجناس في نصّه، كما يبدو في قوله: "وشعثَ على السنّة والشيعة، وسنّ للسنّة أسنّته شَرعاً، وشيّع في بلاد الشيعة مصرعاً"[٤]. أما المصطلح الصوفيّ، فهو الفقراء الحريرية، وهي طائفة ظهرت في العصر المملوكيّ، وتنسب إلى الشيخ علي الحريريّ، يقول: "وسكّنَ حركة الإسكندريّة، وعمل شُغل الفقراء الحريريّة"[٥].

رابعاً : تضمين الأشعار

يلاحظ على رسالة ابن الورديّ أن الأديب لم يضمّن فيها الشعر القديم سوى جزء من معلّقة امرئ القيس[٦]، ولم يلجأ في أسلوبه إلى نثر المنظوم، وهو أمر لم تجر عليه عادة الكتاب في العصر المملوكي، الذين كانوا يتنافسون في توظيف أشعار سابقيهم ونثرها، وبخاصة شعر أبي تمّام والمتنبيّ. ولكنّ ابن الوردي استعاض عن ذلك كلِّه بأشعاره التي ملأ بها رسالته، فأعانته على إيصال أفكاره، ولعلّه كان يجد فيها وفي شاعريته ما يغنيه عن أشعار القدماء. وقد امتدح النقاد العرب القدامى الشاعر الذي يضمّن رسائله شعره وشعر غيره، يقول الكلاعيّ: "وكان المجيد كثيراً ما يُضمّن في رسائله أشعاره وأشعار غيره، فكان إذا ضمّن أشعاره يُوافق بين قافيتها وبين السجع الذي قبلها، ليُعلم بذلك أنّ الشعر له، وكان إذا ضمّن أشعار غيره خالف بين السجع والقافية. وهذا حسن يجب أن يمتثله من أراد إحكام صنعة الكلام"[٧].

(١) الديوان، ص٨٨، تتمة المختصر، ٤٩٨/٢ .
(٢) المصدر نفسه، ص٨٨-٨٩، المصدر نفسه، ٤٩٨/٢ .
(٣) الديوان، ص٩٠ .
(٤) الديوان، ص٨٩، تتمة المختصر، ٤٩٩/٢ .
(٥) المصدر نفسه، ص٨٧، المصدر نفسه، ٤٩٨/٢ .
(٦) انظر عنوان " استيحاء التراث " .
(٧) إحكام صنعة الكلام، ص ٧١-٧٢ .

وإذا كان هؤلاء يرون أن "إيراد بيت الشعر في مكانه ...، من أحسن أنواع الكتابة، وأعظم فنونها"[(١)]، فإنّ المحدثين من النقّاد يرون فيه إضعافاً للسرد في النصّ النثري.

لقد تميّزت أشعار ابن الوردي بفصاحتها، وسهولة لغتها، وجاءت متلائمة وموضوع الرسالة، فمضامينها تدور حول المرض، وتفسيره، وانتشاره، وشدّة وطأته على أهل البلاد المختلفة التي شملها وبخاصة مدينة حلب، وقدّم من خلالها صورة عن أحوال أهل حلب إبّان المرض[(٢)]، وغير ذلك. ولكنّ سجعتها لم تأتِ مطابقة لما قبلها من كلام منثور.

واستعان بالفنون الشعبية المستحدثة في رسالته ومنها الـ "كان وكان"، "ومخترعوه البغداديون، ثم تداوله الناس في البلاد"، "وسمّي بذلك لأنهم أوّل ما اخترعوه، لم ينظموا فيه سوى الحكايات، والخرافات...، فكان قائله يحكي ما كان وكان"، ثمّ نُظمت فيه "المواعظ، والرقائق، والزّهديات، والأمثال، والحكم"، "وله وزن واحد، وقافية واحدة. ولكنّ الشطر الأول من البيت أطول من الشطر الثاني، ولا تكون قافيته إلا مردفة قبل حرف الرويّ بأحد حروف العلّة"[(٣)] ويبدو أنّ ابن الوردي خرج عن هذه الشروط جميعها إذ قال[(٤)]:

أعــوذ بالله ربّــــي   من شرِّ طاعونِ النّسبْ
بــارودُهُ المُستعلـــي   قد طــارَ في الأقطـــارْ
يدخلُ إلى الدّارِ ويحلفُ   ما يخرجُ إلاّ بأهلـــها
معــي كتــابُ القاضــي   بكلِّ مَن في الــــدارْ

وتتسم أشعار ابن الوردي بمجموعة من السمات الفنيّة منها الأثر الإسلامي[(٥)]، واستخدام الفنون البديعيّة، وبروز الصورة الفنيّة[(٦)]. وتميّزت ببروز ظاهرة التكرار، مثل تكرار لفظه "هذا" إذ صوّراً أهل حلب إبّان المرض وانقلاب أحوالهم، ورجوعهم إلى الطريق القويم[(٧)]. وكرّر كم الخبريّة إذ بيّن كثرة خطايا العباد التي أدت إلى هذا المرض: "كم سيئات وكم خطايا ....[(٨)].

---

(١) معالم الكتابة، ص١٣٨ .
(٢) سبق أن مثلت بهذه الأشعار في غير موضع من الرسالة .
(٣) صفي الدين الحليّ، العاطل العالي والمرخص الغالي، ص١١٥ .
(٤) الديوان، ص٩٣ .
(٥) انظر أمثلة ذلك تحت عنوان " الأثر الإسلاميّ "
(٦) ستأتي أمثلة ذلك في الصفحات القادمة إن شاء الله .
(٧) انظر الديوان، ص٩٤، وقد أوردت هذا الشعر تحت عنوان " صورة المرض " .
(٨) المصدر نفسه، ص٩٢ .

خامساً: الفنون البديعيّة

اعتنى الذوق العام في العصور المتأخرة بالبديع وفنونه المختلفة، وحرص أدباؤه على توظيفها في شعرهم ونثرهم، وتنافسوا في هذا الأمر. وكان من إفرازات ذلك أن اتّسمت كثير من النصوص الأدبيّة بالتكلّف والإغراق في الصنعة، وكثر عدد الكتب المؤلفة في تلك الفنون، وزاد عددها في كتب البلاغة والنقد زيادة لافتة، فوصلت إلى أكثر من مئة وأربعين نوعاً. وظهرت فنون شعرية خاصة تتخذ من الفنون البديعية أساساً في نظمها، منها البديعيات، وهي قصائد على البحر البسيط وقافية الميم المكسورة، تمزج بين المديح النبويّ والنظم العلميّ، ومن شروطها أن يتضمّن كلّ بيت من أبياتها فنّاً بديعياً أو أكثر(١). ووجدت في تلك العصور، وبخاصة في العصر المملوكيّ الأوّل اتّجاهات ومدارس بديعيّة، لها روّادها وأتباعها

والمروّجون لها، مثل مدرستي الجناس والتورية(٢).

لقد شغف ابن الوردي بالبديع شأنه شأن نظرائه من أدباء العصر المملوكيّ، فأتى بألوانه المختلفة في أدبه(٣). وبرز ذاك الشغف في رسالته النبا عن الوبا التي أغرق فيها في استخدام ضروب البديع المختلفة اللفظية والمعنويّة وفي مقدمتها الجناس(٤) والسجع ثم التورية فالطباق.

استعان الأديب بالسجع في معظم أجزاء رسالته، وأغلبه من النوع ذي الفقرات القصيرة، وهو المحبب إلى نفوس النقّاد، لأنّه يدل "على قوّة التمكّن وإحكام الصنعة"(٥)، "وتلتذّ به أسماع المتلقين، لأنّ تقارب أجزائه يزيد من بروز الموسيقى"(٦). وقد أدى هذا الضرب من السجع دوره دوره في أجزاء قليلة من النصّ، كما في قوله:"ومن فوائده تقصير الآمال، وتحسين الأعمال، واليقظة من الغفلة، والتزوّد للرحلة"(٧). أما في ما تبقّى من أجزاء، فجاء متكلّفاً لاقترانه بفنون بديعية أخرى وبخاصة الجناس، ومصطلحات العلوم، ولما فيه من "استكراه وتنافر وتعقيد"(٨).

---

(١) انظر تفصيل ذلك في صفحات كتاب علي أبي زيد، البديعيات في الأدب العربيّ نشأتها - تطوّرها – أثرها .

(٢) انظر تفصيل ذلك في : ابن أبي الأصبع، تحرير التحبير، الوافي، ٤٤/٢، أعيان العصر، ٦٧٧/٣-٦٧٨، مقدمة ابن خلدون، ١٣٢٠/٣-١٣٢١، ابن حجة، خزانة الأدب، ١٢٢/١، كشف اللثام عن التورية والاستخدام، ص٤ ,٧، الصفدي، فضّ الختام عن التورية والاستخدام، ص١٢١، عصر سلاطين المماليك، ١٥٠/٤، عبده قلقيلة، النقد الأدبيّ في العصر المملوكي، ص٢١٧، فوزي محمد أمين، أدب العصر المملوكيّ الأوّل، ص٤٠٣ وما بعدها، علي زايد، البديعيات في الأدب العربيّ، رائد عبد الرحيم، فن الرثاء، ٣٧٤ ما بعدها، رحلة حظيرة الأنس إلى حضرة القدس لابن نباتة المصري دراسة موضوعية وفنية، ص٢٢٢ .

(٣) انظر بحث أحمد فوزي الهيب، الجانب البديعيّ في شعر ابن الوردي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الأول، المجلد الثاني والسبعون، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص٣-٦٨ .

(٤) سبق الحديث عن الجناس تحت عنوان " لغة الرسالة " .

(٥) حسن التوسّل، ص٢١٣ .

(٦) رحلة حظيرة الأنس، ص٢٢٤ .

(٧) الديوان، ص٩٣ .

(٨) الصناعتين، ص ١٧٦ .

وأمثلته كثيرة منها: "ثمّ تيمّم الصعيدَ الطيّبَ، وأبرَقَ على بَرقة منه صيّب، ثمّ غزا غزّةَ، وهزَّ عسقلانَ هِزّة، وعكّ إلى عكا، واستشهد بالقدس وزكّى"(١).

وبرز في الرسالة السجع ذو الفقرات المتباعدة، وقد حثّ النقادُ الأدباءَ على تجنّب هذا النوع من السجع "لئلاّ يبعد عن السامع وجود القافية، فيقلُّ الالتذاذ بسماعها"(٢)، يقول ابن شيث القرشيّ: "وإذا كان السجع مطيلاً للكلام ينبغي أن يتحاماه، ولا يُعطي الألفاظ زمامه"(٣). ويتجلّى ويتجلّى ذلك في قول ابن الورديّ: "نعوذ بكَ يا ربّ الفلق من الضربِ بهذا العصا، ونسألُكَ رحمتك فهي أوسعُ من ذنوبنا ولو كانت عدد الرمل والحصا"(٤).

ومن صور السجع التي برزت في النصّ الموازنة "وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة مع قرينتها في الوزن والرويّ"(٥) "وبمقدار ما تتوازن اللّفظتان، ويلزم فيهما من تكرار الحروف يكون التبريز في ذلك"(٦). وهو كثير في هذه الرسالة كقول كاتبها: "يا له من زائرٍ من خمسة عشر دائر"(٧)، "ثمّ طلب حلب، ولكنّه ما غلب"(٨).

وعلى الرغم من أنّ نقاد العصر المملوكيّ لم يشيروا إلى أنّ الأديب ابن الورديّ كان أحد روّاد مدرسة التورية يومذاك(٩)، إلاّ أنّ رسالته تجعله من روّادها، فقد أكثر فيها من توظيف التورية في التعبير عن معانيه وأفكاره، وبلغت أحياناً حدّ التكلّف، ولكنّه لا يقرن بتكلّفه وشغفه بالجناس، وبدت في صور مختلفة في نصّه. استعان الأديب بالقرآن الكريم(١٠)، وبمصطلحات العلوم في تشكيل تورياته، كما يبدو في قوله: "اللهم إنّه فاعلٌ بأمركَ فارفع عنّا الفاعل"(١١)، التورية في لفظة "الفاعل"، فالمعنى القريب غير المقصود لها المصطلح النحوي، لوجود شيء من لوازمه، وهو "ارفع"، والمعنى البعيد المقصود مرض الطاعون.

وورّى الأديب بأسماء المدن والأنهار، وهذا ما يتجلى في قوله مشيراً إلى المرض: "ثمّ طلّقَ الكنّة في حماة، فبرّدت أطراف عاصيها من حماة"(١٢). فالتورية في ألفاظ "الكنّة، وحماة،

---

(١) المصدر نفسه، ص٨٧ .
(٢) حسن التوسل، ص٢١٣، وانظر معالم الكتابة، ص٩٢-٩٣، الباقلاني، إعجاز القرآن، ص١٠٩ .
(٣) معالم الكتابة، ص٣٢-٣٣ .
(٤) الديوان، ٩٤ .
(٥) خزانة الأدب، ٤١١/٢، وانظر معالم الكتابة، ص١١٣ .
(٦) معالم الكتابة، ص٩٧ .
(٧) الديوان، ٨٦ .
(٨) المصدر نفسه، ص٩٠ .
(٩) انظر روّاد تلك المدرسة في : فض الختام، ص١٢٤-١٣٢، كشف اللثام، ص١٤، ٥٨، ٨٥، ٨٦، خزانة الأدب، ١٢٢/٢-١٢٣، ٣٤/٢، ١٠٧، ١٠٨، ١٥٥، الغزولي، مطالع البدور، ٩٠/١ .
(١٠) وذلك في قوله : " وتنبهت عينه لمصر " فإذا هم بالساهرة " . الديوان، ص٨٧ . وقد سبق الإشارة إلى ذلك تحت عنوان " الأثر الإسلاميّ " .
(١١) الديوان، ص٨٧ .
(١٢) الديوان، ص٨٧، تتمة المختصر، ٤٩٨/٢ .

والعاصي" فالمعنى القريب للكنّة هو زوج الابن، وللحماة، والدة الابن. أما المعاني البعيدة المقصودة أنّ الطاعون أطلق كنانته في مدينة حماة، وهي صورة رمزيّة لشدّته على الناس. ويشير المعنى القريب للفظة "عاصيها" إلى زوج الابن التي تعصي حماتها . والبعيد المقصود نهر العاصي في حماة.

واستخدم ابن الوردي عناصر الطبيعة المتحركة في صنع توريته، وبدا ذلك في أشعاره التي ضمّنها رسالته[١]:

حلبٌ واللهِ يكفـــي   شرَّها أرضٌ مشقّهْ

أصبحتْ حبّة سوءٍ   تقتلُ الناسَ ببزقهْ[٢]

فالتورية في لفظة "بزقة"، فمعناها القريب غير المقصود، بزقة الأفعى وسمّها، والبعيد المقصود، البصاق الذي ينتج عن مرض الطاعون، ويكون دليلاً على دنوّ الأجل، واستفحال المرض. وقد أشار الأديب إلى ذلك في رسالته[٣].

ومن الفنون البديعية في الرسالة الطباق، ولم يظهر هذا الفنّ إلاّ في مواطن قليلة في قوله متحدّثا عمّا فعله المرض في دمشق "فأقلَّ الكثرة"[٤] والإسكندريّة: "وسكّنَ حركة الإسكندرية"[٥]. برز حين أشار إلى فوائد هذا المرض على الإنسان، فقال: " .... واليقظة من الغفلة"[٦]. وقوله: "فنستغفر الله تعالى .....، ونعوذ برضاه من سخطه، وبمعافاته من عذابه"[٧]. عذابه"[٧].

وأتى الأديب بنوع آخر من الفنون البديعية، وهو العكس، "وهو أن يُؤتي بالكلام وعكسه، كقوله تعالى: يخرج الحيّ من الميّت، ويخرج الميت من الحيّ"[٨]. وقد تنبّه ابن شيث القرشي إلى جمال هذا النوع البديعيّ في النصّ الأدبيّ، ولكنّه رأى أن المبدعين فيه قلّة إذ قال: "فالإكثار منه مستحسن، والإحسانُ فيه غير مُستكثر"[٩]. وهذا الإخفاق والتكلّف في صنعه بدا في رسالة النبا عن الوبا في قوله، مصوّراً ما فعله المرض في مصر: "وأخذ من دار الطّراز طراز الدّار"[١٠]. ومنه قوله شعراً[١]:

---

(١) الديوان، ص٩١ .
(٢) بزق وبصق بمعنى واحد . انظر المعجم الوسيط، مادة " بزق " .
(٣) حين قال: "ومن الأقدار أنّه يتتبع أهل الدار, **فمتى بصق واحد منهم دما، تحقّق كلّهم عَدما**". الديوان، ص٩٠، تتمة المختصر، ٤٩٩/٢.
(٤) الديوان، ص٨٨،
(٥) الديوان، ص ٨٧، تتمة المختصر، ٤٩٨/٢ .
(٦) الديوان، ص٩٣ .
(٧) المصدر نفسه، ص٩٢ .
(٨) معالم الكتابة، ص١١٥ .
(٩) المصدر نفسه، ص١١٥ .
(١٠) الديوان، ص٨٧ .

قالوا : فسادُ الهوى يردي فقلتُ : يردي هوى الفسادِ

وبرز في الرسالة نوع بديعيّ آخر وهو الرّجع، بمعنى الردّ "وهو نوعان مجتمع ومفرّق"(٢)، "فالمجتمع كلّ كلمتين جاءتا في الكلام المنثور على صيغة واحدة في اللفظ والخطّ، لا تخالف إحداهما الأخرى إلاّ بأوّل الحروف، ثم يعود ما في كلّ واحد من الكلمتين في الأخرى بغير زيادة ولا نقص"(٣). ومن أمثلته في الرسالة ما ورد في لفظتي أجر وزجر في قوله: "هذا وهو للمسلمين شهادة **وأجر**، وعلى الكافرين **رجز وزجر**"(٤). وفي المثال ذاته برز الرجع المفرق في لفظتي رجز وزجر، ومعنى الرجع المفرّق "كل كلمتين جاءتا في الكلام المنثور تضمّن إحداهما من الحروف ما تضمّنه الأخرى بغير زيادة ولا نقصان، إلاّ أنّه على غير بنية ولا ترتيب، كما في الرجع المجتمع "(٥). ومن أمثلة الرجع المجتمع في الرسالة قول ابن الورديّ: "فصاد **صيدا**، وبغت بيروت **كيدا**"(٦).

بعد هذه الجولة، يتبيّن أنّ توظيف الفنون البديعيّة في هذه الرسالة لم يجلب لها سوى التكلّف والإغراق، وزاد من هذا التصنع غزارة هذه الفنون في النص حتى إنّه كان يجتمع في الجملة الواحدة نوعان بديعيان أو ثلاثة كاجتماع الجناس والسجع، ويضاف إليهما في غير موضع الموازنة أو الرّجع. وقد أدى شغف الكاتب بالبديع إلى التكلف والحشو، كما في قوله على سبيل المثال: "كم دخل إلى مكان، فحلف لا يخرج إلا بالسكّان، ففتش عليهم بسراج، **وهذا الذي جلب لأهل حلب الانزعاج**"(٧). فهذه الجملة الأخيرة نابية في موضعها، لا فائدة لها في النصّ، فالمرض كلّه جلب لأهل حلب الانزعاج.

الصورة الفنية

تميّزت رسالته بغزارة صورها الفنية، فقد اعتمد ابن الوردي كثيراً عليها في إيصال معانيه وأفكاره، واعتنى بها عناية كبيرة لولا شغفه بالبديع الذي أدى إلى تعقيدها في أحيان كثيرة، وبخاصة في حديثه عن انتشار المرض.

استعان الأديب بأساليب علم البيان المختلفة في رسم صوره، وهي التشبيه، والاستعارة، والكناية أو الرمز، كما استعان بالفنون البديعية، ولكنّه اتّكأ على البديع والاستعارة بصورة لافتة.

برزت الاستعارة أو التشخيص في أكثر أجزاء النصّ، فقد جعل الأديب المرض في صورة كائن حيّ شرير سريع الانتشار في البلدان، يفتك بأهلها، ويسطو عليها، فيجعلها قفراً بلقعاً خالية

---

(١) المصدر نفسه، ص٩٢ .
(٢) معالم الكتابة، ص٩٨ .
(٣) المصدر نفسه، ص٩٨ .
(٤) الديوان، ص٩٢ .
(٥) معالم الكتابة، ص٩٨
(٦) الديوان و ص٨٨ .
(٧) المصدر نفسه، ص ٩٠ .

من أهلها وسكّانها، أو يجعل أعدادهم الكثيرة قليلة . فمن ذلك قوله: "وسلّ هندياً في الهند"، "وهجم على بلاد العجم"، "ورمى الروم ببحر مضطرم"[١]. ولا يخفى على المتلقي الأثر السلبي الذي تركه الجناس في صوره الفنية، وهذا الأثر يبدو في قوله أيضاً: "وأخذ من أهل الباب أهل الألباب، وباشر تلَّ باشر، وذلَّل ذَلول"[٢].

وأجرى الأديب حواراً بين الطاعون والمدن التي نزل فيها، أو تلك التي ظلّت بمنأى عن المرض، كالحوار الذي دار بينه وبين معرّة النعمان من جهة، وبينه وبين شيزر وحارم من جهة أخرى[٣]. وبرزت الكناية أو الرمز حين صوّر المرض غمّة أصابت المسلمين، وحين صوّره عقاباً أنزله الله بالمسلمين، فقال: "نعوذ بكَ يا ربّ الفلق من الضّربِ **بهذا العصا**"، "ونتشفّع إليك بأكرمِ الشّفعاء لديكَ، محمد نبيّ الرحمة، أن تكشفَ عنّا هذه **الغمّة**"[٤].

واستعان ابن الوردي في رسم صوره الفنية بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وبعناصر التراث المختلفة، وبمصطلحات العلوم[٥]. واستوحى مصادر الطبيعة المتحركة والصامتة في رسم صورة مخيفة للمرض، ولآثاره المفزعة في البلدان التي حلّ بها، فقدّ صوّره ثعباناً أو حية[٦] في تسلله إلى البلاد، فقال: "استرسل ثُعبانه وانسابَ"[٧]. وصوّره أسداً يفتك بأهل الإسكندرية إذ قال شعراً[٨]:

إسكندريةُ ذا الوبا　　　**سبعٌ** يمدُّ إليكَ ضبعهْ[٩]

وصوّره مطر عذاب، وطوفاناً عمّ الأقطار[١٠]، وتجلّى ذلك في قوله: "وأبرقَ على بَرْقة منه صيّب"[١١].

واستمد صوره من واقع الحرب والقتال وأدواته حين صوّر المرض يسدّد سهامه ورماحه نحو المدن وسكّانها، كما يبدو في قوله: "ثمّ **سدّدَ الرِّشقَ** إلى دمشقَ"[١٢]، وقوله: "وسنّ للسنّة

(١) المصدر نفسه، ص٨٦ .
(٢) المصدر نفسه، ص٩٠ .
(٣) انظر الديوان، ص٨٩ ,٩٠، تتمة المختصر، ٤٩٨/٢، ٤٩٩ . ووردت في التمهيد لهذا البحث ص٤ .
(٤) ص٩٤ .
(٥) سبق الحديث عن هذه الأساليب .
(٦) انظر الديوان، ص٩١ .
(٧) المصدر نفسه، ص٩٠ .
(٨) المصدر نفسه، ص٨٧ .
(٩) بمعنى الساعد .
(١٠) انظر الديوان، ٩٤، والبحث ص ٦ .
(١١) الديوان، ص٨٧ .
(١٢) المصدر نفسه، ص٨٨ ,

أسنّته شُرَّعاً"[١]. ويتجلّى ذلك في قوله مصوّراً أفعال المرض أفعال شخص فاقد العقل مجنون[٢]:

اللهُ أكبرُ من وباءٍ قد سبا ويصولُ في العقلاءِ كالمجنونِ

سُنّتْ أسنّتُه لكلِّ مدينـــةٍ فعجبتُ للمكروهِ في المسنـونِ

وتميّزت صوره بمجموعة من الميزات، فإضافة إلى غزارتها اتّسمت بالواقعية في حديثه عن انتشار المرض، وشدّة فتكه ببني البشر، وفي حديثه عن أهل حلب، واضطرابهم النفسيّ، وأفعالهم للوقاية من المرض، وبكائهم على الموتى منهم. وحين أشار إلى أهل الجنائز وكسلهم وتقاعسهم عن دفن الموتى. وحين صور شماتة الأعداء أهل سيس بالمسلمين.

وتميّزت صوره بالحركة إذ صوّر سرعة انتشار المرض، فاختار الألفاظ الدالة على ذلك مثل: هجم، وسدّد، وسلّ، واستند، وارتفع، ونَجَمَ، ورمى، وجرّ، وتيمّمَ، وصادّ، وبَغَتَ، وغيرها الكثير.

واستعان الأديب بعنصر اللّون ليصوّر قتامة المشهد الاجتماعيّ الذي رسمته الظروف المحيطة بالطاعون، كما يبدو في قوله مصوّراً حلب في عينيه إبّان المرض[٣]:

اسودّت الشهباء في عينيّ من رِممٍ وغشٍّ

المصادر والمراجع

قائمة المصادر

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير. أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الموصليّ. (٦٣٧هـ. ١٤١٦هـ ١٩٩٥م). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. صيدا بيروت.
- إحسان، عباس. (١٩٨٨م). عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقّى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء. ط١. دار الشروق للنشر والتوزيع. عمان. الأردن.
- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني. مسند الإمام احمد بن حنبل. مؤسسة قرطبة. مصر.

---

(١) المصدر نفسه، ص٨٩ .
(٢) المصدر نفسه، ٩٠ .
(٣) المصدر نفسه، ٩١ .

- ابن أبي الأصبع. أبو محمد زين الدين بن عبد العظيم. (١٣٨٣هـ). تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة. القاهرة.
- ابن إياس، محمد بن محمد الحنفي. (ت ٩٣٠هـ). بدائع الزهور في وقائع الدّهور. حققها وكتب لها المقدمة. محمد مصطفى. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.
- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفيّ. (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م). الجامع الصحيح المختصر "صحيح البخاري". ط٣. تحقيق: محمد ديب البغا. دار ابن كثير. اليمامة. بيروت.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب. (١٤١٥هـ-١٩٩٤م). إعجاز القرآن. ط٣. قدم له وشرحه وعلّق عليه: الشيخ محمد شريف سكر. دار إحياء العلوم. بيروت.
- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي. رحلة ابن بطوطة المعروفة بتحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. علّق عليه: محمد السعيد محمد الزيني. المكتبة التوفيقية. القاهرة.
- بيبرس المنصوريّ، ركن الدّين الخطائي. ت٧٢٥هـ. (١٤١٩هـ-١٩٩٨م). زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة. ط١. تحقيق: دونالد س. ريتشاردز. الشركة المتحدة للتوزيع. بيروت. لبنان.
- ابن تغري بردي. (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م). النجوم الزاهرة في محاسن مصر والقاهرة. ط١. قدّم له وعلّق عليه: محمد حسين شمس الدّين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- الجرجاني، علي بن عبد العزيز. الوساطة بين المتنبي وخصومه. ط٣. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. علي محمد البجاوي. دار إحياء الكتب العربية.
- ابن حبان، محمد بن أحمد أبو حاتم التميميّ البستيّ. (١٤١٤هـ-١٩٩٣م). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. ط٣. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت.
- ابن حجة الحمويّ، تقي الدين أبو بكر علي. (١٩٩١م). خزانة الأدب وغاية الأرب. ط٢. شرح: عصام شعيتو. منشورات دار ومكتبة الهلال. بيروت.
- ابن حجة الحمويّ، تقي الدين أبو بكر علي. (١٣١٢هـ - ١٨٩٤م). كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام. المطبعة الأنسيّة. بيروت. لبنان.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي الشافعي. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. ضبطه وصححه: الشيخ عبد الوارث محمد علي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

- ابن أبي حجلة التلمساني. (ت٦٧٦ هـ). ديوان الصبابة. تقديم وتحقيق وتعليق: دكتور محمد زغلول سلام. الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية .

- ابن خلدون، عبد الله بن محمد. (ت ٨٠٨هـ). مقدمة ابن خلدون. ط٣. مهّد لها ونشر الفصول والفقرات الناقصة من طباعتها وحققها وضبط كلماتها وشرحها وعلّق عليها وعمل فهارسها: علي عبد الواحد وافي. دار نهضة مصر. الفجالة. القاهرة

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. حققه: إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت.

- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي. (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م). النفحة المسكية في الدولة التركية. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. المكتبة العصرية. بيروت.

- ابن رشيق، أبو عليّ الحسن القيروانيّ الأزديّ. (ت ٤٥٦هـ. ١٤٠١هـ - ١٩٨١م). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. ط٥. حققه وفصّله وعلّق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد. دار الجيل. بيروت. لبنان.

- السبكي، تاج الدين أبو نصرعبد الوهاب بن عبد الكافي. (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م). معيد النعم ومبيد النّقم. ط١. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت.

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحيم. (١٤١٦ هـ-١٩٩٥م). وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام. ط١. تحقيق: بشار عواد معروف. عصام فارس الحرستاني. أحمد الخطيمي. مؤسسة الرسالة. بيروت.

- ابن سنان الخفاجي، عبد الله بن محمد. (ت ٤٦٦هـ. ١٩٨٢م). سرّ الفصاحة. ط١. بيروت. دار الكتب العلميّة.

- السيوطيّ،جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر. (ت ٩١١هـ). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. بيروت. لبنان.

- السيوطيّ، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر. وجلال الدين محمد بن أحمد المحلّي. تفسير الجلالين. دار المنار. القاهرة.

- السيوطيّ،جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٣٢١هـ - ١٩٠٣م). حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. مصطفى فهمي الكتبيّ. القاهرة .

- ابن شاهين الظاهري، زين الدين عبد الباسط بن خليل. (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م). نيل الأمل في ذيل الدول. ط١. تحقيق: عمر عبد السلام تدمريّ. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.

- شهاب الدين محمود، أبو الثناء بن سليمان الحلبي الحنفيّ. (ت ٧٢٥هـ. ١٢٩٨هـ). حسن التوسّل إلى صناعة الترسّل. المطبعة الوهبيّة. مصر.
- ابن شيث القرشيّ، عبد الرحيم بن علي. (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م). كتاب معالم الكتابة ومغانم الإصابة. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. (ت ٨٦٤هـ. ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م). أعيان العصر وأعوان النّصر. ط١. حققه: د. علي أبو زيد. د. نبيل أبو عمشة. د. محمد موعد. د. محمود سالم محمد. قدّم له: مازن عبد القادر مبارك. دار الفكر المعاصر. بيروت. لبنان. دار الفكر. دمشق. سوريا.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. (١٨٧٩م). فض الختام عن التورية والاستخدام. دراسة وتحقيق: الحمدي عبد العزيز الحناوي. دار الطباعة المحمدية. القاهرة.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. (١٣٩٤ -١٩٧٤م). الوافي بالوفيات. الجزء الثاني والثالث باعتناء: س. ديدرنغ. دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن.
- صفي الدين الحلي. (١٩٨١م). العاطل الحالي والمرخص الغالي. تحقيق: حسين نصار. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الملطي. (١٤٠٣هـ-١٩٨٩م). تاريخ مختصر الدول. وقف على تصحيحه وفهرسته الأب أنطون صالحاني اليسوعيّ. دار الرائد اللبنانيّ. لبنان.
- العسكريّ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. (ت ٣٩٥هـ. ١٤٠١هـ - ١٩٨١م). كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. ط١. حققه وضبط نصّه: د. مفيد قميحة. دار الكتب العلميّة. بيروت. لبنان.
- العلويّ، يحيى بن حمزة بن إبراهيم. كتاب الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. مؤسسة النصر. طهران. إيران.
- ابن العماد، شهاب الدين أبو الفرج عبد الحيّ بن أحمد الحنبليّ الدمشقيّ. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط. حققه وعلّق عليه: صلاح الدين المنجد. دار الكتاب الجديد. بيروت.
- الغزوليّ، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي. (ت ٨١٥هـ. ١٣٠٠هـ). مطالع البدور ومنازل السرور. ط١. مطبعة إدارة الوطن. القاهرة.

- ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق البغداديّ. (١٩٣٢م). الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة. المكتبة العربية. بغداد.
- القرطاجنيّ، أبو الحسن حازم. (ت ٦٨٤هـ. ١٩٨٦م). منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ط٣. تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة. دار الغرب الإسلاميّ. بيروت. لبنان.
- الكتبي، محمد بن شاكر. (١٩٨٠م). عيون التواريخ. الجزء عشرون. تحقيق: فيصل السامر. ونبيلة داود. دار الرشيد. بغداد.
- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدّمشقيّ. (ت٧٧٤هـ. ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م). البداية والنهاية. ط١. تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح. دار الحديث. القاهرة.
- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدّمشقيّ. تفسير القرآن العظيم. دار الجيل. بيروت.
- الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الإشبيليّ. (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م). إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس. ط٢. حققه وقدم له: د. محمد رضوان الداية. عالم الكتب. بيروت. لبنان.
- المقريزيّ، تقيّ الدين أبو العباس أحمد بن عليّ العبيديّ. (١٩٧٠م). السلوك لمعرفة دول الملوك. الجزء الثاني. القسم الثالث. صححه ووضع حواشيه. محمد مصطفى زيادة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة.
- الهمذاني، رشيد الدين فضل الله أبو الفضل بن أبي الخير. (١٩٧٢م). جامع التواريخ. نقله إلى العربية: محمد صادق نشأت. ومحمد موسى هنداوي. وفؤاد عبد المعطي الصيّاد. راجعه وقدّم له: يحيى الخشاب. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.
- ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر. (١٣٨٩هـ-١٩٧٠م). تتمة المختصر في أخبار البشر. ط١. إشراف وتحقيق: احمد رفعت البدراوي. دار المعرفة. بيروت.
- ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر. (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م). ديوان ابن الوردي. ط١. حققه وعلّق عليه وجمع ملحقه: أحمد فوزي الهيب. دار القلم. الكويت.
- ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الروميّ البغداديّ. (ت ٦٢٦هـ). معجم البلدان. دار صادر. بيروت. لبنان.
- اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن قطب الدين البعلبكي الحنبليّ. الذيل على مرآة الزمان. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر أباد الدكن. الهند.

المراجع

- أنيس، إبراهيم. الزيات، أحمد حسن. عبد القادر، حامد. والنجار، محمد علي. (١٩٨٩م). المعجم الوسيط. ط ٢. دار الدعوة. إستانبول. تركيا.
- أمين، فوزي محمد. (١٩٩٣م). أدب العصر المملوكيّ الأوّل قضايا الفنّ والمجتمع. دار المعرفة الجامعيّة. الإسكندريّة.
- الأيوبي، ياسين. (١٩٩٥م-١٤١٥هـ). آفاق الشعر في العصر المملوكيّ. ط١. جروس برس. طرابلس. لبنان.
- دوزي، رينهارت. (١٩٨٠م). تكملة المعاجم العربية. الجزء الثاني. ترجمة: محمد سليم النعيمي. دار الرشيد. بغداد.
- سليم، محمود رزق. (١٣٦٩هـ-١٩٤٩م. ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م). عصر سلاطين المماليك. أجزاء متفرقة. طبعت في مكتبة الآداب. الجماميز. مصر.
- عبد الرحيم، رائد. (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م). فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي. ط١. دار الرازي.عمان. الأردن.
- عثمان، عبد الفتاح. نظرية الشعر في النقد العربيّ القديم. مكتبة الشباب. القاهرة.
- علي، أبو زيد. (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م). البديعيات في الأدب العربيّ. نشأتها – تطورها - أثرها. ط١. عالم الكتب. بيروت. لبنان. دمشق. سوريا.
- قلقيلة، عبده عبد العزيز. (١٩٧٢م). النقد الأدبيّ في العصر المملوكيّ. ط١. مكتبة الأنجلو المصريّة. القاهرة .
- كريستيفا، جوليا. (١٩٩١م). علم النص. ترجمة: فريد الزاهي. دار توبقال. الدار البيضاء.
- مصطفى، محمد عبد المطلب. (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م). اتجاهات النقد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين. ط١. دار الأندلس. بيروت.

الرسائل الجامعية

- عبد الرحيم، رائد. (١٩٩٧م). صورة المغول في الشعر العربي- العصر المملوكي. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنيّة. عمّان. الأردن.

الدوريات

– عبد الرحيم، رائد. (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م). "رحلة حظيرة الأنس إلى حضرة القدس لابن نباتة المصريّ. ت٧٦٨هـ. دراسة موضوعية وفنية". مجلة جامعة النجاح للأبحاث – ب (العلوم الإنسانية). ٢٠(١). نابلس. فلسطين. ٢٠١-٢٣٤.

– ملخ، حسن خميس. (٢٠٠٥م). "استخدام المصطلحات النحوية في الشعر". المجلة العربية للعلوم الإنسانيّة. العدد ٨٩. السنة ٢٣. تصدر عن مجلس النشر العلمي. جامعة الكويت. ٣١-٧٩.

– الهيب، أحمد فوزي. (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م). "الجانب البديعيّ في شعر ابن الورديّ". مجلة مجمع اللغة العربيّة. الجزء الأول. المجلد الثاني والسبعون. دمشق. ٣ – ٦٨.